ذكرى مرور أربعة عشر قرناً على دخول الإسلام في إفريقيا

المؤتمر الدولي

الإسلام في إفريقيا

27-26 نوفمبر 2006

7-6 ذو القعدة 1427 هـ

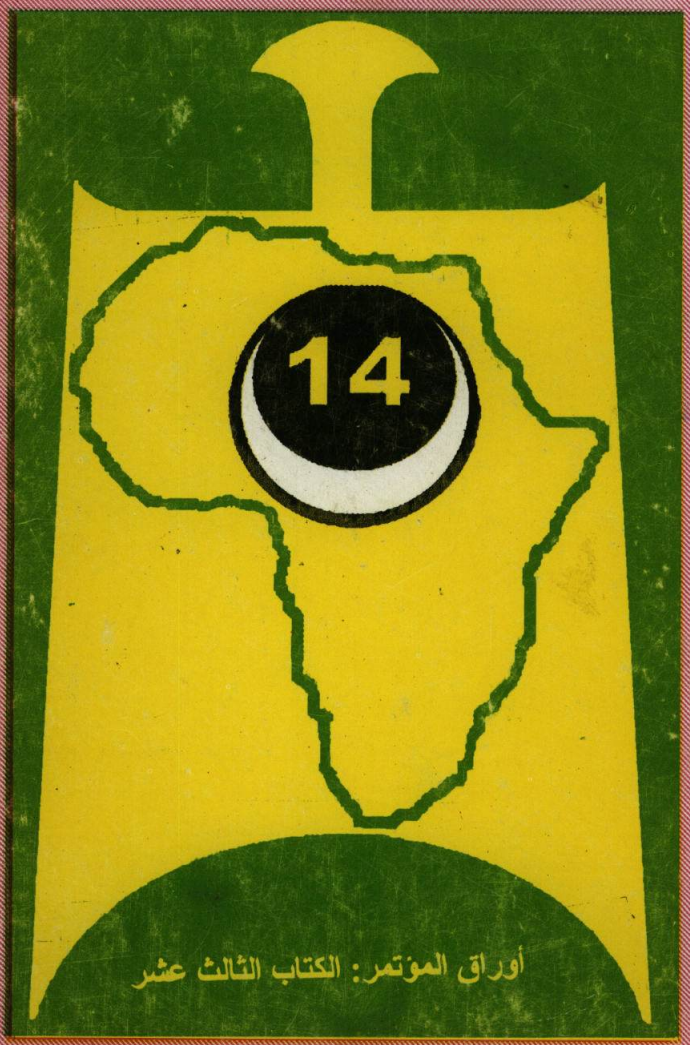

جامعة إفريقيا العالمية

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ليبيا

وزارة الإرشاد والأوقاف

تحديات وتجليات الدعوة الإسلامية في أفريقيا(تشاد نموذجاً)

د/ موسى بن يوسف بن عيسى بن إدريس*

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، ثم الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واستنَّ بسنته وسلم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فمن نافلة القول أنَّ القارة الأفريقية تعتبر مناخاً خصباً للدعوة الإسلامية قديماً وحديثاً لما تميزت به من وصول الإسلام إليها في بدايات ظهوره حيث احتضنت الدعوة الإسلامية بإيواء حملتها في الهجرة الأولى إلى الحبشة والتي كانت في السنة الخامسة(1) من البعثة المحمدية، حينما ضاق بالصحابة - رضوان الله عليهم - أرض مكة المكرمة مهبط ومبعث النبوة أشار عليهم نبي الرحمة محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يهاجروا إلى أرض الحبشة(أثيوبيا حالياً) ، فهاجروا إليها، فوجدوا في هذه القارة السعة والحرية الدينية التي فقدوها في موطنهم الأصلي(مكة المكرمة)، وتمخض عنها دخول ملك الحبشة(النجاشي) في الإسلام، ومنذ ذلك اليوم أخذت

---

* الرياض - المملكة العربية السعودية-

1- انظر: كتاب مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم, الإمام محمد بن عبدالوهاب, ص83, طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد, عام 1408هـ, الرياض- المملكة العربية السعودية.

الدعوة الإسلامية تنتشر في القارة رويداً رويداً حتى قامت ممالك إسلامية قوية كثيرة في مناطق القارة(2)، وساهمت في بناء حضارة إسلامية للأفارقة أذهلت العالم الغربي عندما اطلعوا على جزء منها.

- منذ ذلك اليوم لم تخلُ أرض أفريقيا من الديانة الإسلامية - ولله الحمد أولاً وأخراً- فها نحن اليوم نحتفل بمرور ألف وأربعمائة سنة هجرية على دخول الإسلام إلى هذه القارة، أي: مضى أربعة عشرة قرناً من الزمن بوجود الإسلام في هذه القارة، وسيبقى فيها - بإذن الله تعالى- إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

نبذه تاريخية وجغرافية جمهورية تشـــاد.

فسأتناول في هذه المقدمة نبذه تاريخية وجغرافية لجمهورية تشـــاد في النقاط التالية:

أولاً: أصل الاشتقاق لكلمة(تشاد- TCHAD):

وقد اختلف وجهات نظر المؤرخين الذين تناولوا أصل التسمية، فبعضهم عزا اشتقاقه إلى الأسماك، وآخرون إلى اللغة العربية مع اختلافهم في توجيه ذلك، فمن الممكن تلخيص وحصر أهمّ هذه الآراء في الآتي:

1- يرى الدكتور/ أحمد شلبي أنَّ اسم تشاد مشتقة من اسم لنوع من الأسماك توجد في البحيرة بكثرة ويقول في هذا الصدد:" اتخذت تشاد تسميتها من البحيرة الشهيرة التي تقع في حدودها الغربية، وبحيرة تشاد

2- مثل: مملكة الصنغاي، مملكة مالي، مملكة غانا، مملكة كانم - برنو، مملكـــة باقرمي، مملكة وداي، مملكة شوة، مملكة أوفات، وغيرها من الأمارات الإسلامية التي قامت في القارة الأفريقية.

أخذت تسميتها من نوع من الأسماك((CHAD - SHAD)) شاد؛ الغني بالمواد الغذائية، ويكثر وجوده في هذه البحيرة"[3].

2- أمَّا الباحث/ إبراهيم محمد إسحاق يروي لنا رواية أخرى- مع ترجيح الأولى- تقول: إنَّها مشتقة من كلمة (شَتْ-CHET) والتي كانت متداولة بين القبائل العربية القاطنة في المنطقة، وتعني:"جميع أو كُلْ " فهم يقولون- على سبيل المثال-: " النَّاس ساروا شَتْ " أي ساروا كلهم، ويقولون أيضاً:" البهائم كَمَلَن شَتْ" أي: ماتت جمعيها"(5)

3- ويفيدنا الدكتور/ موسى عربي عبدالرحيم معنيين آخرين لأصل الاشتقاق ويقول: "وهذه الكلمة(تشاد) لها ثلاثة تفسيرات:

أ- إنَّ البحيرة التي أطلق عليها اسم شاد التي تفيض في موسم الخريف بمياه الأمطار الغزيرة التي تنحدر إليها أو تصبُّ فيها من الأنهار خاصة نهر شاري, ونهر لوجون, ونهر السلامات, وبحيرة فتري, فيفيض ماؤها ويملأ جوانبها فيقال عنها: شَتْ ماء البحيرة إذا فاض فسميت المنطقة بتشاد فيما بعد.

ب- اتخذت العرب الرُّحَّل من ضفاف هذه البحيرة منازل اصطياف لهم فسموا أماكنهم بفريق الشاطئ أو منازل الشاطئ وحُرِّفت فصارت شاد بدلاً من الشاطيء، فمن المعلوم أنَّ قبائل هذه المنطقة لا تحسن النطق بالعربية فقالوا: تشاد بدل شاطيء.

1- انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، د/أحمد شلبي، ج6، ص607-608، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1972م.

ج- تفسير آخر اتخذت تسميتها من البحيرة الشهيرة التي تقع في حدودها الغربية"[6].

مهما يكن أصل الاشتقاق وتفسيراتها العديدة التي ذكرها المؤرخون فإنَّه من المؤكد أنَّ تسمية المنطقة الواقعة في الحدود الحالية لجمهورية تشاد لم تعرف باسم(تشاد-TCHAD) إلاَّ بعد عام 1900م-1920م عندما استكمل المستعمر الفرنسي سيطرته على الأراضي التشادية بعد معارك عنيفة خاضتها الممالك الإسلامية التي كانت تعرف بعض أجزاء المنطقة باسمها مثل: ممالك كانم - برنو، ومملكة باقرمي، ومملكة ودَّاي والتي قامت في المنطقة على فترات مختلفة من الزمن ما بين:(800-1909م).

والجدير بالذكر ونحن في صدد هذه الجزئية أن نبين أنَّ منطقة تشاد كلها كانت تسمى بالسودان الأوسط تمييزاًعن السودان الشرقي(جمهورية السودان حالياً) والسودان الغربي(جمهورية النيجر ونجيريا والكمرون حالياً) ولكن المستعمر الفرنسي سماها بهذا الاسم(تشاد) بعد احتلالهٰ عسكرياً[7].

1- العوامل الفكرية وانتشار الإسلام في تشاد(دراسة في فلسفة الحضارة الإسلامية)، د/موسى عبدالرحيم عربي، ص33، رسالة ماجستير، الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم الفلسفة.

2- انظر: أهمية الموقع الجغرافي وعلاقته بالتطور والاستقرار السياسي في دولة تشاد، إبراهيم محمد إسحاق, دراسة في الجغرافيا السياسية, قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة ماجستير, في قسم الجغرافيا بكلية الآداب, جامعة الملك سعود, المملكة العربية السعودية- الرياض, ص33-34، مرجع سابق.

ثانياً: الموقع الجغرافي:

تعد جمهورية تشاد المنطقة الواقعة بين درجتي خط العرض °8-°23 شمالاً وبين درجتي خط الطول °14-°24 شرقاً من جرنتش[8] بعد رسم الحدود الاستعمارية من قبل فرنسا, ولها حدود طويل مع ست دول من دول القارة، تحدها من الشمال الجماهيرية العربية الليبية، ومن الجنوب جمهورية أفريقيا الوسطى, ومن الشرق جمهورية السودان- وهي أطول حدود لها-، ومن الغرب كل من: جمهورية الكمرون وجمهورية النيجر وجمهورية نيجيريا الفدرالية.

وجمهورية تشاد تعتبر من الدول التي لا منفذ بحري لها لأنَّها محاطة بست دول من دول القارة؛ ولهذا حسب الاصطلاح الجغرافي فهي دولة داخلية حبيسة[9].

ثالثاً: المساحة:

تبلغ جمهورية تشاد واحد مليون ومئتين وأربعة وثمانين ألف(000ر284ر1كم2)[10].

3- انظر: الجغرافيا السياسية لإفريقية, د/فيليب رفلة, ص529, القاهرة1966م, ط2. وانظر: عبدالرحمن عمر الماحي, تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1894-1960م), ص12, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ط1، 1982م.

1- تعني كلمة "الحبيسة" تلك الدولة التي لا تملك سواحل على البحر, ؛ لا تستطيع النفاذ إليه إلاَّ عن طريق مرور بأراضي دولة ساحلية أخرى. انظر: أهمية الموقع الجغرافي وعلاقته بالتطور والاستقرار السياسي في دولة تشاد, ص4-5, مرجع سابق. نقلاً عن: القانون الدولي الجديد للبحار، إبراهيم محمد الدغمة، ص67، دار النهضة العربية-القاهرة- 1983م.

2- تأتي جمهورية تشاد في المرتبة الخامسة بين دول القارة من حيث المساحة: السودان، والجزائر، وجمهورية الكنغو الديمقراطية (زئير سابقاً)، وليبيا، وتشاد،

رابعاً: الملامح المناخية والتضاريس الطبيعية:

ويتمُّ تناول هذه الجزئية بالتقسيمين الآتيين:

1- الفصول المناخية:

تنقسم فصول المناخية لجمهورية تشاد إلى ثلاثة أنواع، وتختلف حرارتها تبعاً لدرجة البعد عن خط الاستواء وهي مقسمة على النحو التالي:

أ- فصل الخريف:

وهذا الفصل يتميز بسقوط الأمطار الغزيرة، المسحوبة بالعواصف الرعدية الشديدة، التي تتسبب في قطع الطرق لعدم تأبيدها وزفلتتها؛ وشل حركة التنقل بين معظم المناطق حتى أصبح من العسير السفر على هذه الطرق غير السالكة في هذا الفصل.

ب- فصل الشتاء:

ويتميز هذا الفصل بالبرودة والجفاف، ويبدأ من شهر(نوفمبر)، وينتهي في منتصف شهر(فبراير) من العام التالي، ويتسم بتغيرات كبيرة في الحرارة ليلاً ونهاراً، حيث يصل الدرجة المئوية في النهار إلى(32°) ، وتنخفض ليلاً إلى(10°) درجات مئوية.

فتبلغ مساحة السودان(000ر506ر2)كم2، والجزائر(000ر382ر2)كم2، وجمهورية الكنغو الديمقراطية(زئير سابقاً)(000ر345ر2)كم2، وليبيا(000ر760ر1)كم2، وتشاد(000ر284ر1)كم2. انظر: أطلس العالم، ص96، مكتبة لبنان - ساحة رياض الصلح- بيروت، طبعة جديدة، 1417هـ.

ج- فصل الصيف:

أماً هذا الفصل يوصف بالجاف الحار، و تصل درجة الحرارة فيه إلى أربعين(40) درجة مئوية أحياناً، ويبدأ من منتصف شهر(فبراير) وينتهي بنهاية شهر(مايو)[11].

على العموم يوصف مناخ جمهورية تشاد بالحار، ورياحه كلها شمالية شرقية جافة, وتحمل معها السحب حيناً والأتربة أحياناً أخرى.

2- التضاريس الطبيعية:

فحوض بحيرة تشاد يتكون من سهل واسع، تكثر فيه الأودية والأنهار والبحيرات، وتحيط به مرتفعات جبلية شاهقة، تنحدر منها المياه نحو مركز بحيرة تشاد انحداراً طبيعياً، ففي الشمال سلسلة جبال تبستي التي يزيد ارتفاعها عن(3400م)، كقمة (إيمي- كوسي)، ومن الشرق مرتفعات ودّاي وترتفع أعلى من(1300م)، وأيضاً توجد كتلة إنيدي التي يزيد ارتفاعها عن(1000م)، كما أنّها تحيط به من الجنوب بكتلة أبو ضيا[12].

خامساً: التركيبة السكانية وتعدادها:

سأتناول هذه الفقرة في النقطتين الآتيتين:

1- انظر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1894-1960م), ص12-13، مرجع سابق. وانظر: أهمية الموقع الجغرافي وعلاقته بالتطور والاستقرار السياسي في دولة تشاد، ص65-70، مرجع سابق.

2- وانظر: مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا(6) تشاد, محمود شاكر, ص59, المكتبة الإسلامية, ط2، بدون سنة طبع.

1- التركيبة السكانية:

يظهر من التركيبة السكانية لدولة تشاد التي تضمُّ مجموعات هائلة من القبائل، من أصول شتى وأجناس مختلفة، فمنهم الحامي[3]، والسامي[13]، والزنجي، وغيرها من القبائل، فتزاوجت هذه القبائل فيما بينها، واختلطت بعضها ببعض، وأصبحت التركيبة السكانية مزيجاً من الحاميين والساميين، وخليطاً من السود والبيض؛ لأنَّ المنطقة تعتبر ملتقى للأجناس المختلفة بسبب الهجرات العديدة على فترات متوالية منذ زمن بعيد[14] إلى المنطقة والاستقرار فيها، ما لهذه المنطقة من ميزة خاصة عن غيرها في الجذب السكاني، لأنَّ حوض بحيرة تشاد - كما ذكرت آنفاً- يتكون من السهول

3- الحامي نسبة إلى ذرية حام بن نوح عليه السلام، والسامي نسبة إلى ذرية سام بن نوح عليه السلام. انظر: دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: محمد ثابت الفنـــدي وزملائه، جـــ6، ص660، مادة"حام"، وجـــ11، ص75. و القبائل الحامية في تشاد كثيرة منها: حجارة وبودوما وكوتوكو وماسا وغيرها، و القبائل التي تنتمي إلى العنصر السامي في تشاد: (الفلاتي والسلامات وبني هلال وأولاد مالك وأولاد أبو عيسى) وغيرها من القبائل العربية في تشاد. انظر: تشـــاد مـــن الاستعمار حتى الاستقلال(894-1960م)، ص76، مرجع سابق.

4- جاءت بعض هذه القبائل إلى المنطقة في القرن الرابع الميلادي, فمـــن الـــشمال نزح العرب والبربر يحملون معهم الدين الإسلامي وثقافته ولغته, وكما نزح إليها من الجنوب الزنوج حاملين معهم الديانة الوثنية الإفريقية، ومن الشرق نزح إليها اليمنيون والنوبيون. انظر: أمبراطورية البرنو الإسلامية، ، إبراهيم على طرخان، ص19، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1395هـــ-1975م. وانظـــر أيضاً: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال(1894-1960م)، ص13، مرجع سابق.

وانظر: مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا(6)تشاد، ص55، مرجع سابق.

الواسعة والتي تكثر فيها الأودية والأنهار والبحيرات، وتحيط به كذلك المرتفعات الجبلية الشاهقة.

وبالإضافة على ما سبق ذكره خصوبة الأراضي الزراعية، ووقوع المنطقة في مفترق الطرق التجارية القديمة بين الشمال الإفريقي العربي وبين إفريقيا الإستوائية[15]، كل هذه المميزات جعلها تشكّل مركزاً هاماً، ومكاناً مناسباً لقيام الحياة البشرية فيها من جميع النواحي.

2- التعداد السكاني:

يبلغ عدد سكان جمهورية تشاد حسب آخر احصائية أجرتها إدارة مصلحة الاحصاء في وزارة التخطيط التشادية في عام1993م حوالي: ستة ملايين ومئتين وثمان وثمانين ألفاً ومئتين وواحد وثمانين(6288281) نسمة[16].

كما أنّه حسب إحصائية عام1986م بلغ عدد السكان حوالي: ستة ملايين(000ر000ر6).

فإنّ نسبة المسلمين بلغت 85%, والنصارى 5%, والوثنيين10% نسمة وفقاً لإحصائية عام1986م [17]؛ ولكن لا شك في أنّ نسبة المسلمين أكثر من ذلك في الوقت الحالي, فهي قد تصل إلى90% أو يزيد, وذلك لاعتناق عدد كبير من وثنيي الجنوب وبعض المنصارى الإسلام في الآونة

1- يطلق اسم(إفريقيا الإستوائية)على كل من: تشاد وجابون وإفريقيا الوسطى وكونغو برازفيل. انظر: الجغرافية السياسية لإفريقية، ص528، مرجع سابق.

2- انظر: تشاد والإسلام ومعركة التحديات، آدم كردي شمس، ص26، ط1، 1418هـ- 1997م.

3- انظر: الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل, د/ عبدالرحمن عمر الماحي, ص79, ديوان المطبوعات الجامعية, الساحة المركزية - ين عكنون - الجزائر.

الأخيرة, وهذا العدد الجديد لا يستهان به, حيث بلغ الأمر إلى مستوى دخول قرى وثنية بكاملها في الإسلام[18], فضلاً عن الحالات الفردية التي تجاوزت الألوف من الذين دخلوا في الإسلام, ومازال يزداد يوماً بعد يوم، وهذا الداعية على رمضان ناجل الذي استطاع - بتوفيق الله- بنشاطه الفردي إدخال أربعة عشر(14) سلطاناً في الإسلام، وعلى رأس هؤلاء السلاطين سلطان موسيقار أعظم سلاطين الجنوب هيبة وقوة وسلطة وذلك عام 2002م.

وقد قُدِّرَ عدد الذين دخلوا في الإسلام من أتباع بعض السلاطين الذين أسلموا حديثاً بثلاثة وعشرين ألفاً وخمسمائة(23500) شخص من الرجال والنساء.

وبعض المصادر التاريخية الحديثة رفعت نسبة المسلمين إلى 92% من مجموع السكان[1].

4- مثل قرية قوندي وقرية كيابي وقرية نصر الدين الإسلامي في جنوب البلاد, والتي أصبحت ملجأً للمهتدين الذين يطردون من قراهم بعد اعتناقهم الإسلام, وتعتبر منارة للإسلام في البلاد, وغيرها من القرى التي أسلمت بكاملها. وقد بلغ عدد القرى التي دخلت في الإسلام حوالي: (43) قرية, وعدد الأفراد الذين دخلوا في الإسلام من: (1992-1995م) بلغ حوالي: ستين ألف (60,000) شخص. مصدر هذه المعلومات مقابلة شخصية مع الأستاذ/ قوداجو محمد عبدالرحيم, مدير إدارة شؤون المهتدين بجمهورية تشاد, بتاريخ1416/4/14هـ-1995/9/9م, في العاصمة "أنجمينا", في منزل الأخ/ إبراهيم آدم صالح, بحي قوجي.

1- انظر: مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا(6) تشاد, محمود شاكر, ص59, مرجع سابق.

سادساً: أهم الموارد الاقتصادية:

ممكن حصر أهمُّ الموارد الاقتصادية التشادية في الزراعة والثروة الحيوانية[20]، بالإضافة إلى الثروة السمكية الموجودة في بحيرة تشاد، والموارد المعدنية والتي تتمثل في المواد الخام والثروة المخبوءة تحت الأرض, مثل: اليورانيوم والبوكسيت والحديد والنحاس وغيرها من المواد التي لم يتم استخراجها حتى الآن مع وجود دلائل قطعية بوجودها في المنطقة.

وكما أنَّه يجب ألاَّ نغفل عن ذكر البترول التشادي كمورد من موارد التشادية المهمَّة في الوقت الحاضر بعد استكشافها بكميات هائلة في الجنوب, وبعض المناطق الأخرى حيث بدأ تصدير البترول المستخرج من مدينة(دُوبَا) الجنوبية عبر أنابيب تمرُّ بالأراضي الكمرونية لتصل إلى المحيط الأطلسي، ومن ثمَّ إلى القارات الأخرى وذلك في عام2004م.

كما اكتشف البترول في بعض المدن الشمالية، وهناك مساعي جادة لاستخراجها واستهلاكها محلياً، بالإضافة إلى الصناعات المحلية، والثروة الغابية التي لم تمس بعد.

2- تأتي الزراعة في المرتبة الأولى من صادرات تشاد، وفي المرتبة الثاني الثروة الحيوانية, لأنها تزرع مساحات شاسعة بأنواع مختلفة, منهـا: القطـن والفـول السوداني والقمح والدخن والنخيل والأرز والذرة والمنجو والصمغ العربي, وكمية قليلة من الموز وجوز الهند والكاكاو وغيرها، ويصدر منهـا للخـارج (القطـن والفول السوداني والتمر والدخن والقمح والصمغ، بالإضافة إلىالملح والنطرون). ويقول الدكتور/ عبدالرحمن الماحي في هذا الصدد: (يمكن القول بأنَّ تشاد بلـد زراعي ورعوي في المقام الأول, ويشكل القطاع الزراعـي والحيـواني فيهـا حوالي: 90% من الدخل القومي) انظر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1894-1960م), ص66-67, مرجع سابق.

فهذه مجمل الموارد الاقتصادية لجمهورية تشاد، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يسخرها لرفاهية الشعب التشادي على اختلاف طبقاته، ومن ثمَّ المجتمع الأفريقي والإسلامي برمته, إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

فهذه المميزات كلها قد تساعد وتسهل عملية نشر الدعوة الإسلامية في البلاد إن استغلت لصالحها.

سابعاً: تاريخ وصول الإسلام إلى تشاد:

لقد تضافرت الروايات أنَّ الفضل في انتشار الإسلام يعود للممالك الإسلامية التي قامت في المنطقة، ذلك لما قامت بها من جهود جبارة في وصول الإسلام إلى أجزاء كبيرة من المنطقة، وتحمل أعباء نشر الدعوة الإسلامية فيها، لا يمكن الحديث عن وصول الإسلام إلى تشاد، دون ذكر لها، وبما أنَّ المقام لا يسمح بذكر شرح تفصيلي لتلك الممالك فأني أحيل إلى رسالتيى الماجستير والتي كانت بعنوان: واقع الدعوة الإسلامية في تشاد[21].

أمَّا تاريخ دخول الإسلام المنطقة بالدقة فقد كفانا المؤرخون الذين كتبوا عن وصول الإسلام إلى المنطقة نذكر منهم:

1- الشاطر البصيلي يحدد تاريخ وصول المسلمين إلى منطقة تشاد بقوله:(جاء عقبة بن نافع[22] بقوة من الجيش العربي، ودخل في عام 666

1- ينظر: واقع الدعوة الإسلامية في تشاد، دراسة تقويمية خلال الفترة من 1390 -1412هـ - 1970- 1991م، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير بكلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية - الرياض- العام الجامعي 1417هـ - 1996م، ص51-63.

2- عقبة بن نافع القرشي الفهري، وكان ذا شجاعاً وحازماً وديناً، ولم تصح له صحبة، شهد فتح مصر واختط بها، جهزه معاوية في عشرة آلاف ففتح إفريقية،

ميلادية وسط الصحراء متجهاً نحو الجنوب، ووصل إلى كوّار[23] في تبستي الواقع شمال منطقة حوض تشاد, وعاد من هناك لأنَّه لم يجد خبيراً يرشده الطريق إلى الجنوب)[24]. ومعنى هذا أنَّ عقبة بن نافع وصل بجيشه إلى المنطقة في القرن الأول الهجري.

2-ويقول الأستاذ الدكتور/عبد الرحمن الماحي: (يعود تاريخ دخول الإسلام في التشاد إلى عهد بعيد، إذ ظهرت الطلائع الأولى للمسلمين في حوض بحيرة كوّار(التشاد حالياً) منذ منتصف القرن الأول الهجري السابع الميلادي، وبالتحديد عام46هـ-666م)[25].

والجدير بالذكر ونحن في هذه الجزئية - تاريخ دخول الإسلام المنطقة- أن نبين بأنَّ منطقة تشاد كانت تسودها الحياة الدينية الوثنية، التي كانت تعرف بالإحيائية[26]،حتى وصل إليها الدين الإسلامي، الذي أخذ انتشاره

وهو الذي أنشأ القيروان وأسكنها النَّاس، ويقال كان الموضع غيضة لا يرام من السباع والأفاعي، فدعا عليها، فلم يبق فيها شيء، وهربوا حتى أنَّ الوحوش لتحمل أولادها، وكان مجاب الدعوة، وقتل في سنة ثلاث وستين(63)من الهجرة النبوية. انظر:سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق محمد نعيم العرقوس ومأمون صاغرجي، جـ6، ص533، مؤسسة الرسالة.

3- كوّار أو(كاوار): منطقة واقعة في جنوب مدينة فزّان، غرب تبستي عند حدود النيجر، وقيل هي الآن داخل حدود النيجر. انظر: أمبراطورية البرنو الإسلامية، ص21، مرجع سابق.

4- انظر: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط، الشاطر بصيلي عبد الجليل، ص413، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1972م.

5- الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل، ص79، مرجع سابق.

1- **الإحيائية**: هي اعتقاد بقوى روحية في الأشياء ، أي أنَّ للجمادات والنبات أرواحاً مشابهة لتلك التي لدى الإنسان، وأنَّ الروح هي مبدأ الفكرة والحياة العضوية في آن واحد، وكما يعتقد الإحيائيون أنَّ في هذا الكون المنظم قوة خفية تتحرك، يتعين على

سريعاً في المنطقة، بفضل الله تعالى ثمَّ بفضل طبيعه هذا الدين، الموافق للفطرة البشرية، مما جعل تقبُّله سهلاً لدى الوثنيين الأفارقة، ولكن انتشاره كان محدوداً حتى اعتنق ملوك مملكة: كانم- برنو الإسلام في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)؛ فأصبح دين الدولة الرسمي هو الإسلام مما ساعد انتشاره في فترات متتالية حتى أصبح للشعب التشادي حضارة إسلامية عريقة وانتشرت الثقافة الإسلامية واللغة العربية بشكل واسع.

3- يقول الدكتور/ أمين الطيبي في هذا الشأن:(بدخول الإسلام إلى بلاد كانم في القرن الثاني عشر الميلادي[27]أصبح لدى الكنوري لغة للكتابة -اللغة العربية- دونوا بها بعض أخبارهم)[28].

4- ويؤكد الدكتور/عبدالرحمن بن عبد الله الشيخ دخول الإسلام إلى مملكة(كانم- برنو)في القرن الخامس الهجري بقوله:(شهدت منطقة بحيرة تشاد منذ مطلع القرن الخامس الهجري(الحادي عشر الميلادي) دولة

الإنسان تحديد مسار حركتها بطقوس دينية، وذلك لمنع الكوارث التي يمكن أن تصيب الإنسان في نفسه أوماله أوأبنائه... ولذلك يتجه الإحيائيون إلى عبادة الأسلاف، بحيوان أو شيء من النبات أو الجماد، وأساس فكرة عبادة الأسلاف أنَّ حياة الإنسان لا تتوقف بمفارقة الروح الجسد... وإنَّما غفوة وارتخاء من جراء ضعف يصيب القوة الحياتية السرمدية، وأنَّ روح الميت تبقى مضافة إلى مجموعة أرواح الأسلاف، ويستطيع الأحياء الاستعانة بها عن طريق الاحتفالات الموسمية. انظر: الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل، ص10، مرجع سابق. وانظر: مجلة جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، العدد(4)، ص277، 1413/9هـ-1933م، الجزائر.

2- الصواب في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي ، وانتشر على نطاق واسع في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر، كما سبق بيانه من هذا البحث.

3- مجلة المؤرخ العربي، ص115, العدد(37)، 1409 هـ - 1988م.

إسلامية أخذت من العروبة بسبب, كان لها شأن وحضارة واستمرار تاريخي حتى مطلع القرن العشرين تلك في دولة برنو)[29].

كما أنَّ هناك رواية تقول بوصول الإسلام إلى المنطقة وإلى مملكة "كانم – برنو" في القرن الأول الهجري(السابع الميلادي)، وقد نقل لنا هذه الراوية الدكتور/ إبراهيم طرخان بقوله: "تبعاً لرواية متداولة عند الهوسا[30], يقال إنَّ شخصاً يعرف باسم(أبي زيد الفزاري), كان يدعو للإسلام في كانم وبرنو في نهاية القرن السابع ومطلع القرن الثامن الميلادي"[31].

ويمكن أن نستخلص مما سبق: أنَّ الإسلام بدأ وصوله إلى منطقة تشاد منذ الفتح الإسلامي, عندما وصل القائد الإسلامي عقبة بن نافع مع جيشه إلى مدينة(كوَّار), ثمَّ أخذ الإسلام في الانتشار شيئاً فشيئاً في كافة الأراضي التشادية, حتى دخل ملوك(مملكة كانم) الوثنيون في الإسلام في القرن الخامس الهجري(الحادي عشر الميلادي), وصار الإسلام دين الدولة الكانمية الرسمي, فأخذ الحكام ينشرونه في أرجاء البلاد, ودعوة النَّاس إليه، والقيام بتطبيق الشريعة الإسلامية, فانتشرت الثقافة الإسلامية واللغة العربية وازدهرت الحضارة الإسلامية في هذا القرن بشكل واضح؛ ذلك بفضل الله ثمَّ بفضل الجهود المبذولة من قبل هؤلاء الملوك بعد اعتناقهم الإسلام، وتتمثل تلك الجهود في محاولتهم الجادة لتطبيق الشريعة الإسلامية،

4- دولة الإسلام وحضارته في إفريقيا (بحوث في التاريخ الحديث),د/عبد الرحمن بن عبد الله الشيخ ، ص83, دار اللواء, الرياض 1403هـ -1983م,ط1.

1- الهوسا: قبيلة من القبائل النيجيرية التي وصلها الإسلام في وقت مبكر جداً, وهي الآن تتمركز في الجزء الشرقي من نيجيريا.

2- أمبراطورية البرنو الإسلامية, ص66, مرجع سابق.

وإعطائهم مكانة خاصة للعلم والعلماء، فكانوا يحضرون بأنفسهم مجالس العلم[32].

وهكذا دخل الإسلام إلى منطقة تشاد وانتشر فيها، وظل يقاوم كل دين جديد في المنطقة على مرّ العصور، واستطاع بفضل الله تعالى الحفاظ على الهوية الإسلامية للشعب التشادي المسلم.

المبحث الأول

التحديات التي تواجه الدعوة الإسلامية في تشاد:

لاشك أن الدعوة الإسلامية في القارة الأفريقية واجهت تحديات جمة وأنواع شتى من الصعوبات لعرقلتها عن التقدم والانتشار منذ الوهلة الأولى من انطلاقها في القارة الأفريقية، وإلى يومنا هذا هناك مساعٍ حثيثة ومحاولات جادة من أطراف كثيرة لعرقلتها؛ ولكنَّها تواجه هذه التحديات بكل قوة وإصرار، وعزم وتصميم في مضيها قدماً حتى تجاوزت الكثير من الصعوبات والعراقيل التي وقفت حجر عثرة في مسيرتها المباركة، فها هي الدعوة الإسلامية في أفريقيا عموماً وفي تشاد خصوصاً مرت بمراحل عديدة حتى وصلت إلى مرحلة تكوين الجمعيات الدعوية والمؤسسات التعليمية، وأوصلت صوتها إلى جميع طبقات المجتمع، ومع ذلك فإنَّها تعاني من كثرة ما يواجهها من التحديات والعقبات التي سأوجزها في المطلبين التاليين:

3- انظر: امتداد الحضارة الإسلامية نحو بحيرة تشاد، د/محمد صالح أيوب، ص42، مخطوط.

المطلب الأول: أبرز التحديات غير المحلية:

المقصود بالتحديات غير المحلية التحديات الوافدة من خارج محيط المجتمع التشادي، وهي كالآتي:

أولاً: الآثار الاستعمارية:

فمن المعلوم أنَّ جمهورية تشاد اعتبرت مستعمرة من المستعمرات الفرنسية في عام1920م إثر ضمها رسمياً إلى المستعمرات الفرنسية بمرسوم 1920/3/17م وبموجبه أصبحت المنطقة بأسرها تحت وصاية المستعمر الفرنسي[33].

فمن تلك اللحظة أخذت فرنسا في محاربة للدعوة الإسلامية والثقافة العربية الإسلامية في المنطقة؛ لأنَّ من أبرز دوافع الاحتلال الفرنسي لتشاد الدافع الديني بجانب الدوافع الأخرى(كدوافع اقتصادية واستراتيجية وظروف فرنسا الداخلية)، وهذا يتضح من خلال ما قامت به فرنسا في منطقة تشاد، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1- المجازر التي ارتكبها المستعمر ضد المسلمين:

لقد ارتكب الجنود الفرنسيون مجازر عدة ضد المسلمين في أماكن شتى، وعلى رأسها مذبحة(كُبْكُبْ)[34] وهي أنَّ فرنسا قامت بجمع جميع

1- انظر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال(1894م-1960م), ص154, مرجع سابق.

1- وجه تسمية المذبحة"بكبكب" هو أنَّ هذا الاسم يطلق على الآلة التي استعملت لإبادة علماء المسلمين في هذه المذبحة كانت عام: 1335هـ ـــ1917م، في مدينة "أبيشة" شرق البلاد. انظر: مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا(تشاد)، ص73، مرجع سابق.وانظرأيضاً: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال(1894ـ1960م)، ص**254**، مرجع سابق.

العلماء في مدينة(أبيشة) ثمَّ أمرت جنودها بذبحهم جميعاً بطريقة تتم عن الحقد والكراهية، حيث تمَّ إعدامهم بالساطور، وقد بلغ عدد الشهداء في هذه المذبحة الشهيرة قرابة:(400) عالم من علماء هذا البلد، ثمَّ أمرت بتعقب باقي العلماء في سائر المناطق التشادية؛ فاعتقل معظم علماء هذا البلد المسلم، ونجا عدد قليل منهم ممن فروا إلى الدول المجاورة.

كما حصلت مجزرتان مماثلتان في العام نفسه(1917م)، في كل من مدينتي: (بلتن) و(فايا) استشهد في الأولى أكثر من (40) عالماً، وفي الثانية عدد كبير من العلماء والدعاة.

وفي عام (1940م) قام الجنود الفرنسيون بمجزرة أخرى في منطقة: (كانم) استشهد فيها أعداد هائلة من العلماء والطلاب وأبرز أعيان المسلمين[35].

وهذه الأفعال الشنيعة وغيرها من الأفعال النكراء الكثيرة التي تدل وتؤكد على أنَّ ما تقوم به فرنسا في تشاد وفي غيرها من البلدان الأفريقية كان بدافع ديني.

2- إغلاق المدارس العربية الإسلامية:

لقد أغلقت فرنسا المدارس العربية الإسلامية في فترة الحكم الاستعماري، ففي عام 1953م تمَّ إغلاق المعهد العلمي في مدينة(أبيشة)، واعتقال مؤسسه الشيخ/ عليش محمد عووضة ونفيه إلى السودان

2- انظر: التحديات التي تواجه المدارس العربية الإسلامية في تشاد، أ.الطيب محمد حلولو، ص8، (عبارة عن بحث غير منشور قدم إلى ندوة التعليم العربي الإسلامي وأثره في التنمية والتطور في أفريقيا، والتي نظمتها جامعة الملك فيصل في تشاد، في العاصمة (أنجمينا) في الفترة ما بين:13- 10/17/ 1425هـ الموافق: 26-2004/11/30م.

المجاورة[36]، بل حتى الكتاتيب القرآنية تعطلت في هذه الفترة بسبب المذابح السالفة الذكر، بل استمرت هذه السياسة حتى بعد الاستقلال- المزعوم- كلما سنحت لها الفرصة.

3- اصطحاب فرنسا للجمعيات التنصيرية إلى المنطقة:

ففرنسا اصطحبت معها بعض المنصرين الذين مهدوا الطريق لوصول الجمعيات التنصيرية إلى المنطقة، والتصريح لها رسمياً للقيام بمهمتها في المنطقة، وتشجيعها وحمايتها من كل المخاطر التي قد تعرض سبيلها، وتذليل كل الصعوبات والعقبات التي تقف أمام أنشطتها، وعلى رأسها الدعم المالي اللازم لبرامجها وخططها، بل السماح لها ببناء الكنائس والمدارس الكنسية في كافة المناطق.

4- فرض علمنة الدولة في الدستور التشادي:

فالتنصيص على أنَّ تشاد دولة علمانية يعتبر من أخطر التحديات التي تواجه الدعوة الإسلامية في المنطقة لأنَّها بهذا تصبح مخولة دستورياً أن تبدي رأيها في كل شيء بما فيه الدين لأنَّها جعلت العقيدة الإسلامية مساوية للعقائد الباطلة الأخرى في المنطقة مثل: العقائد النصرانية والبهائية والوثنية وغيرها، فعندما يخاطب الداعية النَّاس بمفهوم الإسلام الشمولي، ويتناول قضايا مهمة في حياة المجتمع مثل حرمة الربا والخمور والحكم بغير ما أنزل الله تعالى وآثارها الوخيمة على الفرد والمجتمع، يواجه السلطات العلمانية لأن الحديث عن الإسلام بشموليته يتعارض مع علمنة الدولة، المنصوص عليها دستورياً منذ الاستقلال حتى اليوم، فيجد الداعية نفسه

3- انظر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال(1894ـــ1960م)، ص254، مرجع سابق. انظر أيضاً: العوامل الفكرية وانتشار الإسلام في تشاد، ص251، مرجع سابق.

مكبَّلاً بقيود علمنة الدولة التي فرضها عليه المستعمر الفرنسي أثناء ممارسة مهمة القيام بالدعوة الإسلامية الشاملة لجميع نواحي الحياة.

حتى لا يكون الكلام عارياً عن الأدلة؛ بل مجرد دعوى فإني أسرد بعض ما قاله أقطابهم:

أ- يقول جان كلود لتز في هذا الصدد: "إنَّ الهدف الأساسي لفرنسا هو إزالة جميع المؤسسات التي هدفها الأساسي نشر الإسلام والثقافة العربية، لكي تحل محلها مؤسسات أخرى فرنسية تتولى نشر المسيحية والثقافة الفرنسية، وخاصة في المناطق المجاورة لبحيرة تشاد معقل الإسلام"[37].

ب- وها هو أدوين بلس يقول:" إنَّ الدين الإسلامي هو القائم في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في إفريقية، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا لأنَّ انتشار الإنجيل لا يجد معارضاً لا من جهل السكان ولا من وثنيتهم، ولا من مناضلة الأمم المسيحية وغير المسيحية)[38].

ج- ويجسد هذا المعنى القسيس صموئيل زويمر في خطبة له بمؤتمر لكنو "بالهند" عام1911م, حيث قال: " إنَّ احتلال الجيش الفرنسي لمقاطعة(ودَّاي) في إفريقية في العام الماضي أهمَّ حادث سياسي في هذا العصر؛ لأنَّ ودَّاي كانت أهمَّ مركز في إفريقية للاتجار بالرقيق وانتشار الإسلام, وعلى ذلك فإنَّ هذا المركز أصبح تحت سلطة أوربية, تحتفظ به مهما كلفها ذلك وهذه الحادثة جعلتنا في مأمن من أن تكون ودَّاي بعد الآن مركزاً للحركات الحربية ضد الحكومات النصرانية, وهي أيضاً ستقلل نفوذ

1- مجلة الثقافة العربية، ص51-52، العـدد(7)، بتـاريخ 1400/12هـ- 1990/7م.

1- الغارة على العالم الإسلامي، أ.ل.شاتلية، تعريب: محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، ص35-36 ، منشورات العصر الحديث -جدة -1387هـ، ط2.

مشايخ الزوايا السنوسية, بحيث لا يستطيعون الوقوف في طريق التقدم الاستعماري... إلى أن قال: وإنَّ عدد المسلمين الذين تحت سلطة الدولة النصرانية سيزداد كثيراً عقب الانقلابات قريبة الحصول وبذلك تزداد مسؤولية الملوك النصارى في مهمة تنصير العالم الإسلامي"[39].

لا شك أنَّ هذا دأب فرنسا في كل المناطق التي احتلتها في القارة الأفريقية ليس تشاد فحسب، وهذا الشيخ/ محمود شاكر يؤكد هذا ويقول:" أراد الفرنسيون أن يستقروا في البلاد لم يجدوا عدواً لهم كالإسلام, ورأوا أن السيف وحده هو الذي يذل الرقاب ويخضع النفوس, ورأوا الأمة تجتمع حول علمائها, وتلتف حول أئمتها)[40].

ومما سبق تلخيصه في السطور السابقة يتضح جلياً أنَّ المستعمر الفرنسي يعتبر العائق الأكبر للدعوة الإسلامية في المنطقة، وأن هذا العائق ترك آثاراً خطيرة وتحدٍ كبير لنشر الدعوة الإسلامية.

ثانياً: الغزو الثقافي الأجنبي:

لا يمكن تناول الغزو الثقافي الأجنبي كتحد فعلي وحقيقي للدعوة الإسلامية في القارة الأفريقية عموماً وتشاد خصوصاً بمعزل عن المستعمر والمنصرين ومؤسساتهم؛ ولذا سأختصر كلامي على ما يقوم به هؤلاء من جهود لنشر الثقافة الغربية عبر المؤسسات التعليمية والثقافية التابعة لفرنسا والحركات التنصيرية في البلاد.

لقد أولى المستعمرون الفرنسيون والمنصرون عنايتهم بالمراكز التعليمية الثقافية على اختلاف أنواعها؛ لنشر الثقافة الفرنسية أو النصرانية

2- الغارة على العالم الإسلامي، ص153-154, مرجع سابق.

3- مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا (6) تشاد, ص73, مرجع سابق.

الغربية مواجهة للثقافة العربية الإسلامية في المنطقة لعلمهم التام بالأثر الذي تحدثه تلك الوسائل في جميع الجوانب الحياتية: (العقدية والأخلاقية والتعليمية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية وغيرها من الجوانب).

ومن التحديات في هذا المجال محاولة فرض ثقافة الصبغ البلاد بالصبغة النصرانية ويظهر ذلك في الآتي:

1- إبراز الصليب على المراكز التعليمية والثقافية والصحية الكنسية:

فسياسة صبغ البلد بأصباغ النصرانية من قبل فرنسا معروفة ومعلومة؛ مع أنَّ النصارى لا يتجاوزون نسبة: 5 % حسب إحصائيتها، ولذا تعمد المنصرون إبراز الصليب على مراكزهم التعليمية والثقافية والصحية الكنسية، واختيار المكان المميز لها في البلاد، وبناء الكنائس الضخمة في أماكن استراتيجية داخل المدن والقرى والأرياف، وعلى امتداد الطرق الرئيسة بين المدن التشادية، وإبرازها في أشكال عدة، وبنائها على طراز جميل بحيث تكون ملفتة لنظر القادم إلى هذه المدن أو المتجول فيها - خاصة في المناطق الجنوبية- حتى يقول المرء في نفسه هذه دولة نصرانية لا وجود للإسلام فيها.

ومن الملاحظ أنَّه روعي في بناء الكنائس في المدن كبر حجمها وفخامتها، أما في القرى والأرياف فيعنى بها من حيث الكثرة لا الفخامة[41].

1- لقدسبق أن ناولت هذه الجزئية بإسهاب في رسالتي الدكتوراه والتي كانت بعنوان:" النشاط التنصيري في تشاد والجهود المبذولة في مواجهته(1412هـ -1421هـ الموافق1991م -2000م)، في تاريخ

2- استغلال الوسائل الإعلامية لمواجهة الثقافة الإسلامية في البلاد:

إنَّ المستعمرين والمنصرين استغلوا الجانب الإعلامي في البلاد في تحقيق بغيتهم، فبمرور الزمن وغفلة الناس عن نواياهم, أحدثوا تأثيراً بالغاً في الجانب الثقافي، وخاصة في أوساط المثقفين بالثقافة الفرنسية الذين درسوا في مدارسهم في الداخل أو الخارج، وتربوا على موائدهم، فاليوم ما يقوله الإعلام هو الصواب, وغيره هو الخطأ بعينه في نظر بعض الناس، فتجد الشخص العادي يقبل - بدون جدال- المعلومة التي تبثها وسيلة من وسائل الإعلام المرئية أو المقروءة أو المسموعة، وإن كان احتماله للصدق ضعيفاً للغاية، في حين عندما يكون الخبر من غير وسيلة إعلامية لا يصدق من أول وهلة وإن كان احتماله للصدق أقوى؛ ولذا يوجب المنصر(جب) الاعتماد على الصحافة في خلق رأي عام في أي قضية، بما فيها عملية نشر ثقافة ما، ويقول في هذا الصدد: " يجب ألاَّ ينحصر الأمر في الاعتماد على التعليم في المدارس، بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفاً إلى خلق رأي عام، والسبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة،... والصحافة هي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي"[42].

2-الاستئثار بمهمة وضع المناهج التعليمية في البلاد:

وكفى بالغزو الثقافي الأجنبي عائقاً للدعوة الإسلامية في تشاد عندما نعلم أنَّ مهمة وضع المناهج الدراسية في كل المراحل في البلاد موكل إلى

الدعوة الحديث والمعاصر، جامعة الملك فيصل، قسم الدراسات العليا، كلية الشارقة للتربية، شعبة التاريخ والحضارة، العام الجامعي-1425هـ الموافق:2004م، ص303 وبعدها.

1- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، مرجع سابق، ص226-227

المستعمر الفرنسي وأعوانه، وهذا النموذج مماثل لكثير من الدول الأفريقية التي فرض فيها ثقافة الدول المستعمرة بسبب وضع المناهج من قبل المستعمرين[43].

ثالثاً: الأنشطة التنصيرية:

تظهر الأنشطة التنصيرية كعائق للدعوة الإسلامية في أفريقيا من خلال تناول آثارها الوخيمة على المجتمعات الأفريقية، وبما أنَّ الحديث محصور عن منطقة تشاد كنموذج لبقية مناطق القارة فسيكون الكلام – بإذن الله تعالى– على النحو التالي:

1- الجانب العقدي:

تأثيرات الأنشطة التنصيرية على المجمع التشادي كثيرة وأبرزها الجانب العقدي فالتركيبة الدينية للمجتمع التشادي أخذت في التحوُّل بوصول البعثات التنصيرية إلى المنطقة، فوصلت أول بعثة تنصيرية تابعة للكنيسة البروتستانتية إلى المنطقة الجنوبية عام1923م, ثمَّ تابعتها بعثات تابعة للكنيسة الكاثوليكية في عام1929م[44]، فأخذ المنصرون يبذلون جهوداً مضنية في أوساط الوثنين الجنوبيين حتى جنو نتائج كبيرة، وأحدثوا آثاراً خطيرة، حيث ظهر أثر التنصير على طبقات المجتمع المختلفة في الناحية الدينية ظهوراً جلياً، فكان الإسلام عقيدة وثقافة هو السائد في كافة أنحاء

2- انظر: الصعوبات والتحديات التي تواجه التعليم العربي المعاصر في أفريقيا، د/عبدالفتاح محمد أحمد, ص16- 17، بحث مقدم في الندوة العلمية الدولية(التعليم العربي الإسلامي وأثره في التنمية والتطور في أفريقيا)، المنعقدة في جامعة الملك فيصل في أنجمينا(جمهورية تشاد)، في الفترة ما بين 13-17 شوال 1425هـ الموافق 26-30 نوفمبر 2004م.

1- انظر تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال(1894ـــ1960م)، ص109-110، مرجع سابق.

البلاد باستثناء المناطق الجنوبية الوثنية التي لم يدخلها الإسلام بعد بسبب العزلة الجغرافية سابقاً وإغلاقها في وجه المسلمين لاحقاً من قبل فرنسا حين سيطرتها على زمام الأمور في البلاد.

فكانت هذه البعثات تبث -من خلال مدارسها وقساوستها- سمومها لطمس هوية هذا الشعب المغلوب على أمره، وأدخل هؤلاء المنصرون عدداً قليلاً من الوثنيين في النصرانية، ثمَّ استمروا في نشاطهم حتى أصبح النصارى يمثلون نسبة معتبرة تقدر بـــ 5% من إجمالي عدد السكان, مع أنَّه قبل وصول هذه الحركات التنصيرية لم يكن هناك نصرانيٌّ واحدٌ في طول البلاد وعرضها[45]، فأصبح للمنصرين كنائسهم التي تقوم بالحفاظ على مذاهبهم الكاثوليكية والبروتستانتية, ثم تتابعت بعد ذلك البعثات التنصيرية الأخرى التي تسترت تحت شعارات براقة مزيفة خداعة, ومخفية نواياها عن الشعب التشادي.

2- تغلغل الأنشطة التنصيرية في أوساط المسلمين فضلاً عن الوثنيين والنصارى:

بدايات العمل التنصيري في تشاد كان محصوراً في الجنوب الوثني فقط لحساسية مناطق المسلمين، ثمَّ بدأت الأنشطة التنصيرية تتسرب رويداً رويداً في بعض المناطق المسلمة مع أخذ الحيطة والحذر من المسلمين, وعدم التوغل في مناطقهم الإسلامية البحتة, ومنذ ذلك اليوم واصل العمل التنصيري نشاطه في البلاد, وعمد المنصرون على تأهيل بعض القساوسة والرهبان من أهل المنطقة للقيام بالعمل التنصيري, بل أخذوا على عاتقهم مهمة إعداد الكوادر للدولة أخذاً بوصية بعض المنصرين حيث قال:(إن

2- انظر: الدعوة الإسلامية في أفريقيا الواقع والمستقبل, ص80، مرجع سابق.

الشجرة ينبغي أن يقطعها أحد أعضائها)[46]؛ فبناء على هذه الوصية وتنفيذاً لها أخذت كل واحدة من الكنيستين تسعى إلى كسب أتباع لها لنشر مذهبها في أوساط الإحيائيين.

وفي الآونة الأخيرة أخذ النشاط التنصيري شكلاً آخر في المنطقة؛ من الاهتمام بتنصير وثنيي الجنوب إلى الاهتمام بتنصير المسلمين، مما جعل هذه الأنشطة تعتبر تحدٍ وعائق حقيقي للدعوة الإسلامية في مناطق المسلمين فضلاً عن المناطق الوثنية التي استأثرت بها الجمعيات التنصيرية، فجعل المنصرون يتوافدون إلى تشاد ودخولهم إلى مناطق المسلمين بشكل ملفت للنظر، وخاصة بعد الزيارات المتكررة التي قام بها بابا الفاتيكان إلى عدة دول إفريقية من ضمنها تشاد, وتجديد إطلاق شعار:(تنصير أفريقيا في عام ألفين"2000م")، وما صرح به البابا بونس الثاني في كلمته التي ألقاها بمناسبة ميلاد المسيح في روما عام199م لدى استقباله وفد أساقفة إفريقيا حيث قال: (ستكون لكم كنيسة إفريقية منكم وإليكم, وآن لإفريقيا أن تنهض وتقوم بمهمتها الربانية, وعليكم أيها الأساقفة تقع مسؤولية عظيمة ألاَ وهي تنصير إفريقيا كلها عام2000 م)[47]، مستغلين فرصة تطبيق مبدأ الديمقراطية الغربية في البلاد في عهد الرئيس(إدريس ديبي), الذي فتح مجال تصاريح العمل للجمعيات التنصيرية وغيرها على مصراعيه; مما حدى بهذه الجمعيات إلى استغلال هذه الفرصة الذهبية أيّما استغلال.

3- انظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام, د/سعد الدين السيد صالح, ص97، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ-1993م.

1- انظر: التنصير في تشاد, د/حقار محمد أحمد، ص31-32، بحث غير منشور.

وإن كان هذا النشاط للجمعيات التنصيرية في تشاد قائماً في وقت مبكر جداً, وذلك منذ دخول المستعمر الفرنسي الذي قدم تسهيلات عظيمة لهذه الجمعيات, بل حمايتها من أي خطر يمكن أن يصيبها أو يعيق عملها أو يحدّ من نشاطها في البلاد, لكن لم تجد مثل هذه الفرصة السانحة في الوقت الحالي في تاريخها السابق في تشاد, حيث اتسع نشاطها كمّاً وكيفاً حتى وصل إلى أماكن لم تكن تحلم بالوصول إليها لولا هذه الفرصة المذكورة آنفاً, لقد وصلت هذه الجمعيات إلى أقصى الشمال والشرق والغرب, وجابت القرى النائية فضلاً عن المدن الكبيرة, وهذه المناطق التي تعتبر أماكن إسلامية بحتة دخلتها بكل سهولة ويسر, بل دخلت بعض بيوت المسلمين للدعوة إلى النصرانية, وقامت مجموعات كبيرة مـــن المنصرين بالانتشار في كافـــة مناطق البلاد مـــع التركيز على المناطق التي يقطنها المسلمون; بغية تنصيرهم أو التشكيك في دينهم أو تشويهه لهم, ذلك في عام2000م, مع رفعهم شـــعار:"انتـــهاء دين محمد وبدء دين عيســـى") -على حســـب زعمهـــم-.

رابعاً: العقائد غير المحلية:

لاريب هناك عقائد مناقضة للعقيدة الإسلامية الصحيحة وصلت إلى القارة الأفريقية وأصبحت عائقاً كبيراً للدعوة الإسلامية في القارة بأسرها، لقد رفع أصحاب هذه القائد الفاسدة عدة شعارات لجذب الأفارقة إلى هذه القائد الوافدة واستعطاف مشاعرهم نحو دعاتها, ومن أبرزها النصرانية، واليهودية، القاديانية، والبابية أو البهائية، والبريلوية، القشبندية وغيرها من الفرق الضالة التي انتشرت في القارة بأسرها.

سيكون الحديث في هذه الجزئية عن العقيدة البابية أو البهائية كتحدٍ للدعوة الإسلامية في تشاد[48] كنموذج لباقي العقائد الوافدة إلى القارة.

فلا شك أن البابية أو البهائية فرقة ضالة نشأت وترعرعت خارج المحيط الأفريقي، ثمَّ وفدت إلينا بقصد إفساد عقائد الناس في المنطقة, وهي طائفة فاسدة ومفسدة تدعي انتسابها للإسلام، ومدعومة من الماسونية الصهيونية العالمية، وتحارب الإسلام من الداخل لإحداث شرخ كبير في العقيدة الإسلامية الصحيحة، وتحاول جاهدة تفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية وعلى رأسها الجهاد الإسلامي[49], وتظهر كتحدٍ للدعوة الإسلامية في كونها تنتسب إلى الإسلام, وتعتبر نفسها فرقة من الفرق الإسلامية, وتكمن خطورتها في كونها تسعى لنخر الإسلام من

1- البهائية أو البابية وصلت إلى تشاد مؤخراً ، ويقول الدكتور/ محمد صالح أيوب في هذا الصدد:" أنَّ البهائية وصلت إلى تشاد من نيجريا المجاورة لأن المنبت كان هناك من الناحية التاريخية والناحية الزمنية, ومازال أفرادها يأتون إلى تشاد من مركزهم الرئيسي في نيجيريا). مصدرها: مقابلة شخصية مع الدكتور/ محمد صالح أيوب, بتاريخ: 1416/4/12هـ-1995/9/7م, في العاصمة "أنجمينا" في مقر إدارة جامعة الملك فيصل "رحمه الله", وهذه المقابلة مسجل على شريط كاسيت وهو لدى الباحث. ويقول الدكتور/ حقار محمد صالح أحمد: "البهائية حسب المصادر والوثائق الموجودة البلاد في عام: 1969م, بإيعاز من مركزهم الروحي العام في نيويورك ". مصدرها: مقابلة شخصية مع الأستاذ/ حقار محمد أحمد, بتاريخ: 1413/4/2هـ, في العاصمة "أنجمينا" في بيته بحي قوجي, وكذلك في عاصمة السعودية "الرياض" الديرة منزل الشيخ/ طاهر علي إبراهيم بتاريخ: 1415/9/25هـ.

2- انظر: البابية عرض ونقد، الأستاذ/ إحسان إلهى ظهير، ص 37 وما بعدها، إدارة ترجمان السنة - لاهور- باكستان، 1401هـ - 1981م، ط3. وانظر: البهائية من الدعوات الهدامة، الأستاذ/ انور الجندي، ص7 - 13، دار الاعتصام القاهرة، بدون سنة طبع.

الداخل دون انتباه أحد، وتهتم بإفساد الأسرة المسلمة في عقيدتها وقيمها ومفاهيمها, وتزييف الحقائق الثابتة ومحاسن الإسلام، ومن ثمَّ تدمير المجتمع المسلم بأكمله، وهي تعمل على محاربة الإسلام من خلال عدة مؤسسات أبرزها المؤسسات التعليمية.

تظهر البهائية كعائق للدعوة الإسلامية في أفريقيا في كونها لا تستقطب الإنسان العادي؛ بل تركز في دعوتها على الوجهاء, والقادة وأبنائهم؛ ولذا فها هي في تشاد تركز على الأبناء الذين يدرسون في مدارسها، وخاصة مدرستها المسماة: (النجم الساطع) بالعاصمة(أنجمينا)، وأكثر الدارسين فيها من أبناء القادة والمؤثرين في اتخاذ القرارات في الدولة دون أبناء الفقراء – بسبب رسومها الباهظة –، ولأجل محاولة صنع قادة موالين لها لإدارة سياسية الدولة مستقبلاً.

فالقائمون بالدعوة إلى العقيدة البهائية لهم قدرة على الدخول إلى أي بيت من بيوت هذا المجتمع, بأساليب ماكرة, ويستطيعون الاتصال بأي شخصية في البلد, حيث إنّهم يدعون إلى وحدة الأديان والأوطان, ويقولون أنَّ هذه الطائفة تزيل جميع النزعات القبلية وتوحد الشعب التشادي؛ بل العالم كله, كما أنَّهم يدعون بأنَّهم لا يعادون أي دين لأي فرقة من الشعب التشادي, وأفراد هذه الفرقة يتنازلون إلى رغبة كل شخص في البداية, فتجدهم يدخلون المساجد ويصلون مع المسلمين, كما تجدهم يحضرون حلقات الصوفية للأذكار والأوراد, وتجدهم يدخلون الكنيسة مع النصارى, ويحضرون الطقوس الوثنية الدينية, وكذلك تجدهم في أماكن الفجور والدعارة والرذائل, وتجدهم في كل مناسبة عامة أو خاصة ودون أن يظهروا حقيقة أمرهم لأي شخص, حتى المعتنقين لعقيدتهم والمنتسبين إليهم

لا يطلعونهم على حقيقتهم إلا بعد مرور سنوات عديدة معهم[50]، وهذا ليس في تشاد فحسب بل منهجهم في كل الدول.

يقول الدكتور/ أنور الجندي في هذا الصدد: " ومن أخطر دعوات البهائية دعوتهم إلى الخداع والتمويه, فهم يدعون اتباعهم إلى أن يصلوا مع المسلمين في المساجد, ومع المسيحيين في الكنائس, ومع اليهود في المعابد, وأن يكون أحدهم مسلماً مع المسلمين وملحداً مع الملحدين"[51].

وأمَّا خطورتها على الدعوة الإسلامية في تشاد فقد بينها ي الدكتور/ محمد صالح يقوله:" البهائية ليست حركة عأدية في تشاد، ونحن يجب أن نعترف بهذا، لأنّ وزارة الداخلية تعترف أنَّ البهائية ديانة في تشاد، بهذا الاسم، ولها أتباعها ومكاتبها في داخل حارات المسلمين، وتدعو النَّاس إلى تدمير دينهم وإلى نبذ الإسلام إلى أشياء أخرى لايمكن قبولها في الإسلام، ولها مدارس ومعلمون تستقطب الاتباع والطلاب، كل ذلك نهاراً وجهاراً، والإنسان بحكم القانون لا يستطيع أن يقول شيئاً"[52].

وفي المؤتمر الوطني المستقل المنعقد في تشاد في عام: 1992م, استطاعت هذه الفرقة البابية أو البهائية أن توزع منشورات تحمل بياناتها وأفكارها في داخل هذا المؤتمر عن طريق أنصارها السياسيين, وحين

1- مقابلة شخصية مع الاستاذ/ حقار محمد أحمد, بتاريخ: 1415/3/16هـ, في العاصمة "أنجمينا". بالإضافة إلى مشاهدات ميدانية للباحث حيث قام بزيادة المدرسة البهائية في العاصمة.

2- البهائية من الدعوات الهدامة, أنور الجندي، ص13, دار الاعتصام – القاهرة، ط بدون.

1- مقابلة شخصية مع الدكتور/ محمد صالح أيوب، بتاريخ:1416/4/13هـ ـ1995/9/9م بالعاصمة ((أنجمينا)) في مقرر إدارة جامعة الملك فيصل.

2- المقابلة السابقة نفسها.

اعترض المسلمون والنصارى معاً على دخول هذه المنشورات إلى المؤتمر وتوزيعها, كان الرد من بعض أفراد الحكومة كيف أنتم تعترضون على ديانة مقبولة في وزارة الداخلية والدولة، ولها أتباعها داخل المؤتمر الوطني المستقبل[53].

فمن العوامل التي ساعدت على قبول مثل هذه العقائد الباطلة والأفكار المنحرفة الوافدة والمباديء الشاذة هذا الجو المليء بالخرافات والوثنيات والبدع التي مثلت أرضية خصبة ومناسبة للإتيان بمثل هذه الأفكار المنحرفة وقبولها, ولولا تستر البهائيين تحت الفكرة الدينية لما وجدوا من يقبل هذه العقيدة البهائية الزائفة ولكان مصيرها مصير الفكر الشيوعي الذي رفضه أبناء منطقة تشاد بصفة خاصة وأفريقيا بصفة عامة.

فالبهائية من خلال مراكزها ومدارسها المنتشرة في البلاد استطاعت أن تصد كثيرا من أبناء البلد عن دين الله وعن طريقه المستقيم، بإدخالهم في ذلك الجهل المتفشي لدى العامة والفقر الذي يعيشون فيه.

كما أنَّ الأثر النفسي والهزيمة النفسية التي أدخلتها البهائية في نفوس بعض التشاديين الذين اعتنقوا تلك العقيدة الفاسدة لا يمكن تصور أبعاده؛ وبهذا تتضح خطورة البهائية كعائق وتحدٍ للدعوة الإسلامية في البلاد, بمسح عقلية المجتمع والفطرة السليمة التي فطر الله النَّاس عليها .

وإلى جانب ذلك كله فإذا استمر الوضع على هذا المنوال سوف تخرّج هذه المدرسة التي بنوها في العاصمة(أنجمينا) المسماة بمدرسة (النجم الساطع) وجلبوا إليها الأطفال والشباب بأعداد كبيرة, أجيالاً لقيادة الحركة البهائية في أفريقيا كلها, ويمكن تسلل هؤلاء إلى السلطة في المستقبل – لا

سمح الله – لأنَّ لهم أتباع سياسيون في الوقت الحالي في الدولة وإن كانوا قلة يعدون على الأصابع, فحضورهم في المؤتمر الوطني المستقل عام 1992م تنبؤ بالخطورة البالغة على الإسلام وأهله[54].

*** المطلب الثاني: أبرز التحديات المحلية:**

سينحصر الحديث في هذا المطلب في أربعة نقاط، وهي كالآتي:

أولاً: النزاعات السياسية والحروب الأهلية القبلية:

شكلت النزعات السياسية والحروب الأهلية القبلية عوائق عدة لدعوة الإسلامية في أفريقيا عامة وتشاد خاصة، ويظهر ذلك جلياً عندما نقف على آثارها المدمرة للبلاد والعباد، وبما أننا في صدد بيان تحديات الدعوة الإسلامية في المنطقة وخاصة المحلية منها فلابد إذن من حصر الحديث على الجوانب التي تجعل هذه الحروب تمثل عقبة خطيرة لنشر الإسلام وثقافته.

فقناعتي الشخصية أن هذه النزعات السياسية والحروب الأهلية القبلية تقف على رأس التحديات المحلية في تشاد؛ لأنَّ بانحراف الحركة الجهادية الثورية التي أطاحت بالحكومة النصرانية عام 1979م[55] عن مسارها الأول قبل أن تؤتي أكلها للشعب التشادي المسلم، انجرفت معها طموحات المسلمين المخلصين الذين عقدوا عليها الآمال بعد الله سبحانه وتعالى والذين بذلوا جهوداً جبارة في سبيل إنجاح هذه الحركة، وكانوا يصبون إلى حكم إسلامي يحكم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ونشر الدعوة الإسلامية الصحيحة، ليس في تشاد فحسب بل في القارة الإفريقية

1- انظر: العلاقات السياسية والاجتماعية بين جمهورية تشاد والسودان في الفترة ما بين: (1960م-1990م)، محمد شريف جاكو، ص204، وما بعدها، رسالة مقدمة لنيل دبلوم في العلوم السياسية من معهد البحوث والدراسات العربية،القاهرة، عام1993م.

2- انظر: واقع الدعوة الإسلامية في تشاد، مرجع سابق.

برمتها، انطلاقاً من تشاد المسلمة، إلى باقي دول القارة – لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن – ولكنَّها انجرت إلى هذه النزعات والحروب الأهلية دون وعي منها، وبسبب تدخل أطراف أخر في القضية، ولم يكن الشعب متوقعاً التحكم بغير شرع الله بعد تولى الحكومة الجديدة زمام الأمور في البلاد، حيث لم تحكم بشرع الله بل رضيت بالقوانين الوضعية الفرنسية التي كانت سائدة في البلاد في عهد حكم النصراني السابق، ليس هذا فحسب بل وقفت ضد الدعوة الإسلامية ودعاتها وذلك كله راجع إلى انشغالها بتلك النزاعات والحروب وتصفية الخصوم في البداية، ثمَّ استمرارها في الانحراف الذي طرأ على الحكم حتى نسيت أهدافها التي من أجلها قامت الثورة الشعبية العارمة في الستينات.

كما أنَّ صراع المسلمين فيما بينهم على الحكم والزعامة، والذي تسبب في اندلاع الحروب الأهلية الطائفية والنزاعات السياسية، ظهرت كتحد لنشر الدعوة الإسلامية في أوساط الوثنيين والنصارى، حيث يقولون ما هذا الدين الذي يفرق ولا يجمع، فهؤلاء الزعماء المقتتلون كلهم من المسلمين، فيعيبون علىهذا الدين العظيم بسبب تصرفات بعض معتنقيه، ولم يسع لهؤلاء فرصة التعرف على حقيقة مبادئ الإسلام السمحة فنبذوا الإسلام والمسلمين ولم يقلبوا دعوتهم بسبب هذه الحروب وحق لهم ذلك لأنهم حكموا على هذا الدين من خلال تصرفات أفراده ولم يتح لهم فرصة معرفة حقيقة الإسلام فلا يلامون في ذلك وكما هجرت العقول المتعلمة تشاد إلى الدول المجاورة.

ثانياً: العقائد الوثنية:

فالعقائد الوثنية تعتبر تأكد في القارة الأفريقية منذ القدم؛ لأنَّ قبل وصول الإسلام إليها كانت الحياة الوثنيةالإحيائية هي السائدة في معظم البلدان الأفريقية غير العربية، وهي اعتقاد بقوى روحية في الأشياء، أي أنَّ للجمادات والنبات أرواحاً مشابهة لتلك التي لدى الإنسان، وأنَّ الروح هي

مبدأ الفكرة والحياة العضوية في آن واحد، وكما يعتقد الإحيائيون أنَّ في هذا الكون المنظم قوة خفية تتحرك، يتعين على الإنسان تحديد مسار حركتها بطقوس دينية، وذلك لمنع الكوارث التي يمكن أن تصيب الإنسان في نفسه أو ماله أوأبنائه... ولذلك يتجه الإحيائيون إلى عبادة الأسلاف، بحيوان أو شيء من النبات أو الجماد، وأساس فكرة عبادة الأسلاف أنَّ حياة الإنسان لا تتوقف بمفارقة الروح الجسد... وإنَّما غفوة وارتخاء من جراء ضعف يصيب القوة الحياتية السرمدية، وأنَّ روح الميت تبقى مضافة إلى مجموعة أرواح الأسلاف، ويستطيع الأحياء الاستعانة بها عن طريق الاحتفالات الموسمية[56].

وبمثل هذه الأباطيل والخرافات التي لا تمت لأي دين سماوي بصلة يؤمن معظم سكان هذه البلدان بها ويعتقدها ديناً مقبولاً عندالله، وهم يعيشون في مثل هذا الظلام الحالك والجهل العظيم بعيداً عن الصراط المستقيم مدة طويلة؛ ولذا لمَّا طلع عليهم فجر الإسلام، وجدوه يناقض أسس اعتقاداتهم بالكلية؛ فواجه بعضهم الدعوة الإسلامية بالرفض التام والبعض الآخر بالتريث والتفكير فيه برهة من الزمن، مما عرقل انطلاق الإسلام في المناطق الوثنية بشكل قوي، وكان في حقيقة الأمر أن الوثنيين لم يرفضوا الدعوة الإسلامية في تشاد إلاَّ بسبب مؤثرات أخرى مثل نشاطات المستعمرين الغازين الذين كانوا يجلبون هؤلاء الوثيين من الأفارقة السود إلى القارات الأخرى عنوة استعباداً واستغلالاً، حتى عندما وصلت الجيوش الإسلامية إلى المناطق الوثنية واجهت خوف الوثنيين من كل أحد بشرته

1- انظر: الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل، د/ عبدالرحمن عمر الماحي، ص10، مرجع سابق. وانظر: مجلة جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، العدد(4)، ص277، 1413/9هـ-1933م، الجزائر.

بيضاء لعدم تفريقهم بين الغزاة المستعمرين ودعاة الإسلام الذين يحملون العقيدة الإسلامية والنور المبين، ولكن بفضل الله بدأ انتشار الإسلام في المناطق الوثنية في الآونة الأخيرة وخاصة في جمهورية تشاد[57].

ثالثاً: البدع والخرافات والعادات السيئة:

البدعة والخرافات والعادات السيئة تشكل خطراً كبيراً وعائقاً لانتشار الدعوة الإسلامية، وخاصة إذا علمنا أنَّها اختلطت بالدين الإسلامي, بحيث أصبح كثير من أفراد المجتمع يعتبرها من الدين وخاصة العوام، فهم يظنون إنَّ هذه البدعيات والخرافات والعادات السيئة مطلوب شرعاً ويؤجرون على فعلها, ولذا تجدهم ينكرون على من ترك فعلها, وينظرون إليه على أنَّه غير متدين، ولا شك أنَّ الأعراف والعادات التي اختلطت مع البدعة وأخذت الصفة الدينية لها أثرها, وكما أنَّ البدعة والخرافات والعادات أصبحت المحكَّمة في كثير من التصرفات في المجتمع, ولا يمكن للمرء مخالفتها أو إنكار فعلها, مثل: بدعة بعض الاحتفال، وما يحصل في التعزيات والمآتم وفي ولائم الأعراس وغيرها من مظاهر البدعة والعادات السيئة المنتشرة في أوساط المجتمع.

يقول الدكتور/ عبدالرحمن عمر الماحي في هذا الصدد:" من العادات والتقاليد المنتشرة في المجتمع التشادي, الاعتقاد بالسحر والحسد, والعين, والجن, اعتقاداً شديداً, حتى يعزو إليها البعض, الكثير من الظواهر الطبيعية كالعقم, والمرض, والموت الفجائي وعدم إدرار البقر للبن, وغيرها، فيحاولون اتقاء وقوعها بالتمائم والاحجبة والتعاويذ, وبعض عروق الشجر،

1- سيأتي بيان ذلك في المبحث الثاني عند الحديث عن تجليات الدعوة الإسلامية في تشاد.

والسبب في أن هذه المفاهيم كانت تحفل بها المجتمعات الوثنية, قبل انتشار الإسلام في البلاد، فلما جاء الإسلام لم يقض عليها تماما كما قضى على الكثير من المظاهر الوثنية الأخرى, بل لقد وجد الذين اعتنقوا الإسلام دون أن يعرفوه حق المعرفة آفاقا جديدة، حيث علموا أن للجن والشياطين تأثيرا يستعيذ منه المسلمون بتلاوة القرآن وحفظه وكتابة آيات منه، وعليه مزجوا هذه الآيات بعاداتهم وتقاليدهم القديمة وأخذوا يشجعون العامة على الاعتقاد بتأثيرها في المجال الاجتماعي والاقتصادي والصحي، حتى أصبحت التمائم والأحجبة والتعاويذ وعروق النبات ذات أهمية بالغة في المجتمع التشادي ونادراً ما نجد شخصاً لا يعتقد بتأثيرها.

وتلعب العادات والتقاليد مجتمعة دورا كبيرا في تكوين وتدعيم الوحدة الاجتماعية التشادية[58].

فهكذا في جمهورية تشاد تجد بعض الفرق يقدمون للمسلمين صور مختلفاً من البدع والشعوذة والدجل على أنّها دين وعقيدة وعبادة, وهذه البدع التي أدخلت عليهم في دينهم من العادات والتقاليد الوثنية التي كانت منتشرة في المنطقة قبل دخول الإسلام إليها، فعرقلت كثيراً من انتشار مباديء الدعوة الإسلامية في البلاد على الرغم من وصول الأسلام في القرن الأول الهجري- كما سبق بيانه[59]- وانتشار الثقافة الإسلامية بشكل مؤثر وكبير، ولكن لا تزال بعض الترسبات الوثنية في المعتقدات والعادات الموروثة عن الآباء والأجداد تشكل تحدٍ للدعوة لا يمكن أنكاره.

1- انظر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1894-1960م), ص99، مرجع سابق.

2- راجع المقدمة، الفقرة السابعة(تاريخ وصول الإسلام إلى تشاد)، من هذا البحث.

وفي الحقيقة أنَّ الاعتقاد بفعالية هذه الأمور(قدرة الكهنة، والجن والأرواح الشريرة والتمائم, وغيرها من الخرفات والزعبلات على النفوس) منتشرة ليس في تشاد فحسب بل في القارة الأفريقية كلها. وكما أنَّ خطورتها تظهر في كونها تحارب صفاء الدين والأخلاق الفاضلة وكثيراً من الأشياء التي قد نهى الإسلام عن فعلها وحذَّر منها. ولذا من الممكن للمرء أن يقول أنَّ أخطر الأمراض الاجتماعية، وأكثرها انتشاراً وتعويقاً للدعوة الإسلامية في منطقة تشاد خصوصاً وبلدان القارة عموماً, البدعة التي تنشرها هذه الفرق الضالة بين عامة الناس, وخاصة في أوساط الجهال والعوام, فانشغل كثير من المسلمين فترات طويلة عن العبادات الصحيحة؛ وحتى عن طلب الرزق الحلال, بسبب انشغالهم بالأذكار والأوراد البدعية التي لم ينزل الله بها من سلطان ولم يأذن فيها.

المبحث الثاني

تجليات الدعوة الإسلامية في أفريقيا

كان للدعوة الإسلامية في أفريقيا آثار حميدة وثمرات جليلة، وتجليات عديدةفي مختلف الجوانب والمجالات: الدينية والاجتماعية، والثقافية، بل حتى السياسية والاقتصادية، وغيرها، ومن الممكن أن أبين أبرز آثارها على المجتمع التشادي في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: أبرز التجليات في انتشار الثقافة الإسلامية في الجوانب التالية:

أولاً: الجانب العقدي:

فإنَّ النشاط الدعوي في أوساط المسلمين ساهم بشكل فعال في تنقية العقيدة الإسلامية من كثير من شوائب الشرك والبدع والخرافات والعادات السيئة التي ذكرناها أثناء حديثنا عن تحديات الدعوة الإسلامية في مطلبي

المبحث الأول، فالدعوة استطاعت أن تدخل أعداداً كبيرة من الوثيين في الإسلام، كما عملت على تصحيح بعض المفاهيم والانحرافات التي وقعت في المجتمع الإسلامي، بفعل عوامل ومؤثرات خارجية أو محلية كثيرة.

لقد أخذت الدعوة الإسلامية في تشاد تخطو خطوات كبيرة تمثلت في أشكال متعددة وأنواع مختلفة من الجهود الدعوية، بعضها كانت فردية، وبعض الآخر كانت جماعية، وقد تدرجت من العمل الفردي حتى وصلت إلى ما وصلت إليها الآن من العمل الجماعي المنظم، وكل تلك الجهود التي بذلت لتحقيق هدفين أساسيين:

العمل من أجل نشر الإسلام وتبليغه، والعمل من أجل تصحيح بعض العقائد الفاسدة، والمفاهيم والأفكار الخاطئة، سواء كانت الوافدة، أم المحلية.

ثانياً: الجانب السلوكي:

ففي جانب السلوكي نجد أن الدعوة الإسلامية في أفريقيا أثرت كثيراً في أخلاقيات الأفارقة بعد اعتناقهم الإسلام، فتجد كثير من الصفات المرغوبة متأصلة في نفوس معظم الشعب الأفريقي، مثل: الكرم والشجاعة، ونصرة المظلوم، والأمانة، وإقراء الضيف، وبغض المنكرات والفواحش والرذائل، كزنا والإغتصاب والتحرش الجنسي، وشرب الخمر والمخدرات وغيرها، ففي تشاد عندما تتجه من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب تجد البساطة والأمانة والبراءة والشجاعة والكرم والنشاط سمة غالبة على الصفات الأخرى غير المرغوبة فيها، مثل: التكلف والمكر والخدعة والخيانة والجبن والبخل والكسل وغيرها.

وما ذلك إلاَّ لأنَّ أثر الدعوة الإسلامية الإيجابي في المنطقة كبير وعميق قديماً وحديثاً.

ومن المعلوم أن الأنشطة التنصيرية المدعومة من المستعمرين والغزو الثقافي الأجنبي والسياسات التعليمية الاستعمارية في البلاد الأفريقية قد تركت آثاراً سلبية كثيرة في الجانب السلوكي لشعوب تلك البلدان، بسبب المحاولات الكثيرة لغرس القيم والعادات والأعراف والآداب الغربية النصرانية في نفوس الشعوب الأفريقية المستعمرة المغلوب على أمرها طيلة فترة الاستعمار[60]؛ بل حتى بعد الاستقلال – المزعوم– استمر الوضع على تلك المنوال في معظم البلدان؛ ولولا لطف الله سبحانه وتعالى بالمجتمعات الأفريقية ثمَّ جهود رجال الدعوة الإسلامية في القارة لأحدثت تلك المحاولات التغريبية التخريبية من قبل أعداء الإسلام شرخاً كبيراً وجرحاً عميقاً في السلوك الاجتماعي لدى الشعوب الأفريقية لا يمكن علاجها على مدى القريب والبعيد.ولا يمكن للمرء أن ينكر أو يكابر في كون هذه المحاولات في مجال التغريب والإفساد الأخلاقي السلوكي والاجتماعي فضلاً عن السياسي والاقتصادي والتعليمي الثقافي التي اجتاحت القارة الأفريقية برمتها تركت آثاراً سيئة في نواحي المجتمع المختلفة، وخاصة في الجانب الأخلاقي السلوكي للمرأة والشباب. لكن الحياة الاجتماعية الإسلامية التي كانت السائدة في المنطقة قبل وصول المستعمرون وأذنابهم المنصرون، وانتشار الدعوة الإسلامية ساهمت بشكل فعال في الحفاظ على كثير من القيم الخلقية والآداب السلوكية الجملية، أثرت بشكل مباشر

1- انظر: أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في أفريقيا وطرق مواجهتها(دراسة ميدانية على دولة كينيا في الفترة من عام: 1411-1420هـ)، الباحث/ نور الدين عوض الكريم إبراهيم بابكر، ص292-299، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة الاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العام الجامعي 1422-1423هـ.

وإيجابي على كثير من العادات والتقاليد الوثنية السيئة وهذبتها، حتى أصبحت موافقة لكل فضيلة دعا إليها الإسلام في أحيان كثيرة.

ثالثاً: الجانب القضائي:

فعندما نقول الجانب القضائي نقصد التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسول الله عليه وسلم، فالدعوة الإسلامية في أفريقيا قديماً وحديثاً جعلت التحاكم إلى قضاة المسلمين في الخصومات والديات والأحوال الشخصية:(كالنكاح والطلاق والرجعة والحضاتة والرضاع)، والبيوع والحدود، وغيرها من الأحكام التي تحتاج إلى حكم القاضي للفصل فيها؛ لفض النزاعات والخلافات التي تحدث بين أفراد المجتمع الواحد بحكم التعاملات الكثيرة بين الناس، أنَّه واجب ديني لا يمكن العدول عنها إلى غيرها من القوانين الوضعية التي سنها من سناها كائناً من كان، وإن اخلطت بعض العادات والأعراف بهذه الأحكام الشرعية لدى بعضهم، فبالجملة يقون بأحكام قضاة المسلمين أكثر من أي حكم آخر.

يقول الدكتور/ عبدالرحمن عمر الماحي في هذا الصدد :" لقد القانون الإسلامي في شمال تشاد منذ دخول الإسلام في القرن الحادي عشر الميلادي، وهو يستمد من القرآن والسنة والإجماع والقياس على مذهب الإمام مالك بن أنس، وقد يحدث فيه تغيير أو تعديل ليتوافق مع العادات المحلية، بشرط ألاَّ تكون هذه العادات متعارضة مع الشريعة الإسلامية.

على الرغم من عدم اتخاذه قانوناً رسمياً لشمال تشاد بعد احتلال الفرنسي, إلا أنَّه مازال يعالج قضايا الأحوال الشخصية (كالطلاق, والزواج, والميراث والحضانة, وغير ذلك من تنظيم للأسرة...على الرغم من استكمال الفرنسيين لاحتلال أراضي تشاد عام 1918م ظل الزعماء

التقليديون يمارسون القضاء بالعرف, والشريعة الإسلامية في مناطقهم المختلفة.

وفي عام 1946م ألغى القضاء الأهلي في المجال الجزائي, وتولت السلطة القضائية الفرنسية وحدها النظر في كافة المخالفات والجرائم التي ترتكب في أراضي تشاد, وتطبيق القانون الجنائي الفرنسي, وقانون التحقيق الجنائي"[61].

والواقع الذي لا يخفى على أحد من التشاديين على الرغم قصر الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية قانونياً في تشاد منذ إلغائها من قبل المستعمر الفرنسي قبل ستين عاماً، وإنشائها محاكم تحكم بقوانين الوضعية الفرنسية، فيما عدا الأحوال الشخصية بين المسلمين، فإن عزوف الناس عن تلك المحاكم كبير جداً في كل المحافظات التشادية المسلمة؛ فضلاً عن سكان القرى والأرياف والبادية، الذين يرى جلهم أنَّ الذهاب إلى المحاكم التشادية التي تحكم بالقوانين الفرنسية يعتبر كفراً وردة عن الإسلام.

ولاشك من أنَّ هذا الموقف الإيجابي من قبل المسلمين نتيجة حتمية الدعوة الإسلامية التي انتشرت منذ اعتناق ملوك كانم الإسلام في القرن الخامس الهجري(الحادي عشر الميلادي)[62]، الذين عينوا القضاة وأقاموهم في أماكن رفيعة، ومنازل عالية في وسط المجتمع، وحتى اليوم الذي يتولى القضاء في المجتمع التشادي يشار له بالبنان احتراماً وتقديراً لما يقوم به من أعمال جليلة في خدمة المسلمين.

1- انظر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1894-1960م), ص99، مرجع سابق.

1- انظر: دولة الإسلام وحضارته في أفريقيا(بحوث في التاريخ الحديث)، د/ عبدالرحمن بن عبدالله الشيخ، ص83.

رابعاً: الجانب اللغوي:

أمَّا تجليات الدعوة الإسلامية في أفريقيا في الجانب اللغوي(اللغة العربية) لا يحتاج إلى كثير عناء في التدليل على تأثيرها، لأنَّ اللغة العربية انتشرت في تشاد وغيرها من الدول الأفريقية منذ الهجرات القديمة للقبائل العربية إلى المنطقة حاملين معهم الإسلام عقيدة لغة وثقافة، حتى أضحى كثير من الكلمات والمفردات اللغة العربية في لغات الأفريقية، وهي كثير في اللغة الصومالية والسواحلية والحبشية، بل حتى في بعض اللهجات الأفريقية تجد كلمات عربية.

أمَّا في تشاد حدث في حرج من تأثير الدعوة الإسلامية على انتشار العربية، بسبب

قيام ثلاث ممالك إسلامية قوية في المنطقة اعتنق ملوكها الإسلام, وتبنَّوا عملية نشر الإسلام ودعوة الناس إليه منذ وقت مبكر جداً, مما ساعد في انتشار الثقافة الإسلامية والعربية بشكل واسع في جميع أرجاء البلاد؛ حتى أصبحت اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي تعتبر لغة التخاطب والتفاهم بين القبائل التشادية المختلفة الأجناس والأعراف, سواء أكان في أوساط المتعلمين أم غيرهم، والمسلمين أو غير المسلمين على حد سواء.

كفى تأثيراً للدعوة الإسلامية في تشاد على الجانب الغوي أن نص في الدستور التشادي عام 1996م رسمية اللغة العربية لجمهورية تشاد، مساوٍ للغة الفرنسية في البلاد[63].

2- انظر: الدستور جمهورية تشاد، المادة(9)، ص6، الصادر في عام 1996م.

كما أنَّ اللغة العربية هي لغة الدعوة الإسلامية في كافة البلاد، بل هي لغة التعليم التقليدي في حلقات الشيوخ والخلاوي القرآنية في كافة البلاد فضلاً عن المؤسسات الأهلية.

*** المطلب الثاني: أبرز تجليات الدعوة الإسلامية في المجالات التالية:**

أولاً: المجال السياسي:

عند الحديث عن تجليات الدعوة الإسلامية في المجال السياسي لا يمكن أن نغفل عن دور السياسي للممالك الإسلامية في تشاد وهي:

1- مملكة كانم- برنو، والتي قامت في الفترة بين(800-1894م).

2- مملكة باقرمي، والتي قامت في الفترة بين(1512-1893م).

3- مملكة ودّاي، والتي قامت في الفترة بين(1615-1909م)[64].

خاصة مملكة كانم – برنو التي قامت في غرب البلاد بالقرب من بحيرة (تشاد) شرقاً, وتعتبر أول مملكة قامت في المنطقة, وبسطت سيطرتها ونفوذها السياسي والثقافي والاقتصادي على ما يعرف بالسودان الأوسط في الفترة بين(800- 1894م), وهي أيضاً أول مملكة اعتنق ملوكها الإسلام في المنطقة, وكانت على الوثنية فترة من الزمن غير معروفة[65].

1- انظر: أهمية الموقع الجغرافي وعلاقته بالتطور والاستقرار السياسي في دولة تشاد، ص14-27، مرجع سابق.

2-انظر: الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل, ص80, مرجع سابق.
وانظر: أيضاً: مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا (6) تشاد, ص38, مرجع سابق.

وقد أدى اعتناق ملوك كانم للإسلام إلى ظهور نمط جديد من النظام السياسي والاجتماعي، يتجاوز من الناحية الاجتماعية العلاقات القبلية والمكانية والعلاقات السياسية التحالفية القائمة آنذاك في المنطقة، ويحل بدلاً عنها علاقات سياسية واجتماعية أوسع من الناحية المكانية والاجتماعية، قللت بشكل كبير الصراعات حول المراعي والمزارع الطبيعية، ومياه الأمطار والآبار[66].ويتضح تأثير الدعوة الإسلامية على المجال السياسي في حياة شعوب منطقة تشاد بشكل جلي في أنها أمدها بمبادئ التنظيم السياسي في الحكم فنقلها من الحكم القبلي إلى الحكم الشورى[67].

بل استفادت النظم السياسية الحديثة في تشاد من توجيهات تعاليم الإسلام في كيفية بناء أسس إقامة العلاقات الأخوية والجارية مع باقي الدول الإسلامية وغيرها باعتبارها مطلباً ملحاً للاستقرار السياسي[68].

وامتدد هذا التأثير الدعوي المجال السياسي إلى عصرنا الحالى، وإن كانت في فترة الاستعمار قلت هذا التأثير بسبب عوامل الخارجية السياسية للغرب، فإنّ المسلمين هم أصحاب السياسة الفعلية بعد فترة الاستعمار؛ لأن دخول المسلمين حلبة معترك السياسي بدأ قبل الاستقلال عام1960م، حيث إن أول حزب سياسي ظهر على الساحة التشادية برئاسة رجل مسلم وهو عربي القونب، حيث كون حزبه في عام 1945م تحت اسم: الاتحاد

3- انظر: انظر: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبدالحق الترجمي في داراي تشاد عام (1853-1917م)، محمد صالح أيوب، ص 59-61، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

1- زكي، د.عبدالرحمن: تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، المؤسسة المصرية الحديثة، القاهرة 1961،ص232.

2-أيوب، محمد صالح: جماعات التحديث الاجتماعي في وسط إفريقيا، مطبعة المعرفة، القاهرة 1991،ص24.

الديمقراطي التشادي(U.D.T)، وفي عام 1952م ظهر حزب آخر برئاسة مسلم وهو: أحمد غلام الله تحت اسم: الحزب الاشتراكي التشادي المستقل(P.S.I.t)، وفي يوم1959/3/13م شكل أحمد غلام الله حكومة جديدة في البلاد فأصبح أول رئيس للوزاء رجل مسلم (وكان رئيس الوزراء بمثابة رئيس الجمهورية)، كما بدأت جبهة التحرير الوطني التشادي(فرولينا-FROLINAT) كحزب سياسي سري داخل البلاد منذ عام1958م باسم الاتحاد الوطني التشادي(U.N.T) وأعضاء هذا الحزب هم الذين قادوا الثورة الإسلامية ورفع السلاح في وجه الحكومة النصرانية الظالمة التي كانت تمارس اضطهاد المسلمين[69]، بعد حلها للأحزاب كلها واعتقال رؤسائها وتطبيق مبدأ حزب الواحد في تشاد وفرض قانون الطوارىء في البلاد في عام1962م[70]، برئاسة فرنسوا تمبلباي النصراني، ثمَّ برئاسة الجنرال فليبس مالوم، ودامت هذه الحكومة النصرانية العميلة للفرنسا قرابة(18)عاماً حتى أطيح بها في معركة مع الرئيس السابق/حسين هبري عام 1978م، ومن ثمَّ آل الحكم إلى المسلمين ولكنهم تنازعوا فيها فنشب بيهم حروب دامية تحولت إلى حروب أهلية قبلية دمرت البلاد والعباد، وحتى اليوم يعاني الشعب التشادي بأسره من آثار تلك الحروب.

ومع هذا كله إنَّ زمام الأمور في البلد بيد المسلمين، ويصعب التكهن بنزعها منهم في الوقت الحاضر والمستقبل القريب وإن كان المستعمر

3- انظر: التضامن الديمقراطي ضرورة حتمية لبناء تشاد، آدم كـردي شـمس، ص53، ط1، 1413هـ-1992م.

4-انظر: تشاد والإسلام ومعركة التحديات، ص272، مرجـع سـابق.وانظـر: التضامن الديمقراطي ضرورة حتمية لبناء تشاد، ص40-44، مرجع سابق.

الفرنسي يسعى حثيثاً في تولية رجل نصراني زمام الأمور في البلاد، لأن رئيس الحالي طبق الديمقراطية نوعاً ما مما أتاح الفرصة للمسلمين ممارسة السياسة من خلال تكوين أحزاب كثيرة، وقد بلغ الأحزاب التي ويترأسها المسلمون قرابة(37) حزباً، كلها تكونت من عام1992م إلى عام1997م[71]، وهي في ازدياد يوماً بعد يوم.

ويظهر التأثير السياسي للحضارة الإسلامية في حياة شعوب حوض شاد بشكل واضح في أنها أمدها بمبادئ التنظيم السياسي في الحكم فنقلها من الحكم القبلي إلى الحكم الشورى[72].

لا شك من أن المسلمين هم أصحاب السياسة الفعلية منذ أمد بعيد؛ لأن دخول المسلمين حلبة معترك السياسي بدأ قبل الاستقلال عام1960م حيث إن أول حزب سياسي ظهر على الساحة التشادية برئاسة رجل مسلم وهو عربي القونب، حيث كون حزبه في عام 1945م تحت اسم: الاتحاد الديمقراطي التشادي(U.D.T)، وفي عام 1952م ظهر حزب آخر برئاسة مسلم وهو: أحمد غلام الله تحت اسم: الحزب الاشتراكي التشادي المستقل(P.S.I.T)، وفي يوم1959/3/13م شكل أحمد غلام الله حكومة جديدة في البلاد فأصبح أول رئيس للوزاء رجل مسلم (وكان رئيس الوزراء بمثابة رئيس الجمهورية)، كما بدأت جبهة التحرير الوطني

1-انظر: الديمقراطية والتعداد الحزبية في تشاد، أحمد قاسم أحمد، ص125-129، بحث مقدم إلى قسم الدراسات العليا بجامعة الملك فصل بتشاد، كلية الشارقة للتربية، لنيل درجة دبلوم الدرسات المعمقة في التاريخ والحديث والمعاصر، بحث غير منشور.

2-زكي، د.عبدالرحمن: تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، مرجع سابق.

التشادي(فرولينا-FROLINAT) كحزب سياسي سري داخل البلاد منذ عام1958م باسم الاتحاد الوطني التشادي(U.N.T) وأعضاء هذا الحزب هم الذين قادوا الثورة الإسلامية ورفع السلاح في وجه الحكومة النصرانية الظالمة التي كانت تمارس اضطهاد المسلمين[73]، بعد حلها للأحزاب كلها واعتقال رؤسائها وتطبيق مبدأ حزب الواحد في تشاد وفرض قانون الطوارىء في البلاد في عام1962م[74]، برئاسة فرنسوا تمبلباي النصراني، ثمَّ برئاسة الجنرال فليبس مالوم، ودامت هذه الحكومة النصرانية العميلة للفرنسا قرابة(18)عاماً حتى أطيح بها في معركة مع الرئيس السابق/حسين هبري عام 1978م، ومن ثمَّ آل الحكم إلى المسلمين، وإن تنازعوا فيها فنشب بيهم حروب دامية تحولت إلى حروب أهلية قبلية دمرت البلاد والعباد، وحتى اليوم يعاني الشعب التشادي بأسره من آثار تلك الحروب.

ومع هذا كله إنَّ زمام الأمور في البلد بيد المسلمين، ويصعب التكهن بنزعها منهم في الوقت الحاضر والمستقبل القريب وإن كان المستعمر الفرنسي يسعى حثيثاً في تولية رجل نصراني زمام الأمور في البلاد، فالدعوة الإسلامية الواعية ساهمت في أتاحة الفرصة للمسلمين ممارسة السياسة من خلال تكوين أحزاب كثيرة، وقد بلغ الأحزاب التي ويترأسها

1- انظر: التضامن الديمقراطي ضرورة حتمية لبناء تشاد، آدم كردي شمس، ص53، مرجع سابق.

2- انظر: تشاد والإسلام ومعركة التحديات، ص272، مرجع سابق.وانظر: التضامن الديمقراطي ضرورة حتمية لبناء تشاد، ص40-44، مرجع سابق.

المسلمون قرابة(37) حزباً، كلها تكونت من عام1992م إلى عام1997م[75]، وهي في ازدياد يوماً بعد يوم.

ثانياً: المجال التعليمي

إنّ بالدعوة الإسلامية في تشاد خرّج أناس أخذوا على عاتقهم مسؤولية التعليم الإسلامي البلاد، سواء أكان التعليم في حلقات المساجد أم في الخلاوي القرآنية التقليدية المنتشرة في البلاد، بل وصل الأمر إلى فتح مدارس الإبتدائية والإعدادية والثانوية، معاهد عليا، أخيراً وصلوا إلى فتح جامعات إسلامية تدرس فيها باللغة العربية، حتى خرجت هذه الجامعات كوادر للدولة في مجالات عدة، حتى وصلوا من الرقي إلى" تكوين أساتذة للغة العربية في المعهد العالي لعلوم التربية حاصلين على شهادة الكفاءة للتدريس في الثانويات، وترسيم التعليم المزدوج في النظام التربوي تشادي، وإنشاء قسم للتعليم المزدوج تابع لوزارة التعليم الاعدادي والثانوي بموجب المقرر 94/194م.

لقد ساهمت الدعوة الإسلامية في إسراع الإجراءات قبول اللغة العربية كلغة رسمية في المؤسسات التعليمية في الدولة، وتمخض عن ذلك إنشاء مفتشية للغة العربية، ودخل التعليم العربي الإسلامي مرحلة جديدة، بالسماح بإنشاء جامعة الملك فيصل - يرحمه الله-[76]، في عام1411هـ -

---

3- انظر: الديمقراطية والتعداد الحزبية في تشاد، أحمد قاسم أحمد، ص125-129، مرجع سابق.

1- انظر: المطوية التعريفية للجامعة التي أعدت من قبل إدارتها في عام2001م، ص1-3. وانظر: المجلة العربية، العدد(241) السنة(21)، صفر 1418هـ- يونيه/يوليو 1997م، ص97-98.

1991م، على أساس أنَّها مؤسسة تعليمية إسلامية أهلية، ذات شخصية اعتبارية، لها استقلاليتها الإدارية والمالية، وأنشطتها الأكاديمية والخيرية.

وفي عام2001-2002م تمَّ إنشاء جامعة آدم بركة بأبيشة، بقسميها العربي والفرنسي، إن طبيعة عمل الجامعة تجعل أنشطتها في نطاق نشر العلم، والثقافة الإسلامية، واللغة العربية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، وهذا واضح من خلال أهداف الجامعة التي تسعى إلى تحقيقها من خلال كلياتها ومناهجها، وخططها المستقبلية، حيث تسعى في الدرجة الأولى إلى احتواء حملة الشهادات العربية لأجل انخراطهم في الإدارات الحكومية والخدمة المدنية لتفعيل دور هؤلاء المثقفين بالثقافة العربية الإسلامية، لاستعادة أمجاد الآباء والأجداد في هذه المنطقة الاستراتيجية من الناحية الجغرافية والعسكرية والاقتصادية، حيث إنها تتعرض لحملة شرسة من قبل الحملات التنصيرية التي تريد لها أن تذوب شخصيتها في الثقافة الفرنسية الغربية، وتنسى ماضيها الزاهر، وحاضرها الزاخر[77].

فالجامعتان إذن تحملتا مسؤولية كبيرة في حجمها وتبعاتها، وأخذت على عاتقهما أمانة تربية الأجيال الإسلامية لا في تشاد فحسب بل في القارة الإفريقية بأسرها، بفتح مجال التعليم لأبناء القارة جميعاً بغض النظر عن التيارت السياسية، أو الحدود الاصطناعية التي وضعها المستعمرون، أو الحواجز العرقية القبلية المقيتة، والتي حاربها الإسلام منذ أربعة عشرة(14) قرناً من الزمن.

فهذه الجامعات ساهمت في الآتي:

1- استيعابها جملة من الطلبة من حملة الشهادات العربية من التشاديين وغيرهم من الدول الأفريقية.

2- تخريج دفعات ممن تمَّ تأهيلهم لسد الفراغ الإداري والتعليمي.

3- نشر اللغة العربية والثقافة والحضارة الإسلامية في تشاد والدول الأفريقية المجاورة، وإعدادها جيلاً مستنيراً بالعقيدة الصحيحة والعلم النافع.

4- إحداث التوازن بين اللغة العربية واللغة الفرنسية، في المجالي الإداري والتعليمي، وفي المؤسسات الحكومية المختلفة.

بالإضافة إلى افتتاح جامعة الملك فيصل في بداية عام1999م المكتبة المركزية للجامعة التي تبلغ مساحتها ثمانمائة وأربعين(840)متراً مربعاً، وتعد الآن أكبر مكتبة علمية إسلامية في البلاد، وتحوي عشرين ألف(20000) كتاب ومرجع في مختلف التخصصات[78].

فإننا نستطيع أن نقول أن الدعوة الإسلامية في تشاد دفعت التعليم الإسلامي في تشاد نحو الأفضل بسبب إنشاء مدارس إسلامية أهلية والخلوات القرآنية الكثيرة في كثير من المناطق التشادية، حتي وصلت إلى مرحلة إنشاء الجامعات في الأونة الأخيرة.

ثالثاً: المجال الاقتصادي.

تجليات الدعوة الإسلامية في المجال الاقتصادي وخاصو في تشاد لا يحفى على العبد والقريب، فالمسلمون يسيطرون على كثير من منافذ التجارية؛ لأنهم جلُّ الشركات والمؤسسات المحلية بأيديهم دون منافس،

1- انظر: مجلة المستقبل الإسلامي، العدد(117)، محرم 1422هـ- إبريل 2001م، ص20-21.

وانظر: المجلة العربية، العدد(241) السنة(21)، صفر 1418هـ- يونيه/يوليو 1997م، ص97.

ماعدا الشركات الاستعمارية التي احتركت بعض المجالات الاقتصادية منذ الاستعمار حتى اليوم، ولكن نستطيع أن نقول أن المسلمون في تشاد سيطروا على الجوانب الاقتصادية منذ أن قامت الممالك الإسلامية الثلاث في تشاد، حتي وصلت إلى مرحلة إنشاء الشركات والمؤسسات الاقتصادية في الأونة الأخيرة، وكذا في بعض البلدان الأفريقية التي قامت فيها إسلامية قوية اقتصادياً فضلاً عن الجوانب الأخرى السياسية والعسكرية التعليمية، فكانت القوافل التجارية بين الدول الأفريقية معروفة ومعلومة ومشهورة.

يقول الكتور الماحي في هذا الصدد:" تتميز منطقة حوض بحيرة تشاد في العصور الوسطى والعصور الحديثة بالدور الهام الذي لعبته من الناحية التاريخية والاقتصادية في أقاليم غرب ووسط أفريقيا.

وتبعاً لذلك برز دور التجار بشكل خاص, وما يستتبها من طرق ومراكز تجارية هامة.

وقد ربطت المنطقة في مجموعها بين بلاد حوض وادي النيل, وبلاد حوض البحر المتوسط, وبين أقاليم غرب وجنوب أفريقيا القريبة منها.

وإلى عهد قريب كانت ترتبط منطقة حوض بحيرة تشاد بشمال أفريقيا ومصر والحجاز, وشرق أفريقيا بطرق تسير عليها القوافل التجارية, هي:

1- طريق (طرابلس- فزان- بلماء- بحيرة تشاد).

2- طريق (برقة- كفرة- بروكو- بحيرة تشاد).

3- طريق (جغبوب- كفرة- فضا- وداي).

4- طريق (القيروان- غدامس- غات- بلماء- بحيرة تشاد).

5- طريق درب الأربعين (القاهرة- أسيوط- الفاشر- وداي- بحيرة تشاد).

6- طريق (مراكش- ولاته- تمبكتو- نيامى- زندر- بحيرة تشاد- وداي- دارفور- سنار- سواكن- مكة) وبالعكس[79].

ويقول الدكتور/ محمد صالح أيوب:"عرفت منطقة حوض شاد أشكالا مختلفة من تبادل السلع والمنافع الاقتصادية فعاشت الجماعات فيها ردحا من الزمن على نظام الجمع والالتقاط أو النظام البسيط والبدائي في الحياة الاقتصادية, ... وبعد ذلك عرفت هذه الجماعات نظام المقايضة الذي يتم على أساسه التبادل في جميع السلع المعروضة, فالذي يملك لبنا يستبدله بحبوب بحد معين, والذي في حوزته بقرة يقاضيها بناقة أو جمل مثلا وفق تمايزات وتفاوتات محددة, ويمكن أن يقام هذا النظام في السوق بحيث يعرض كل متسوق سلعته ومن ثم التبادل بالمقايضة أو يذهب صاحب السلع المراد مقايضتها واستبدالها بأخرى إلى صاحب السلع الأخرى حتى خارج السوق في المرعى أو في المنزل وتتم عملية المقايضة بالتراضي بين الطرفين, وغالبا ما تكون بحضور شهود من القبائل أو مندوبي القبائل في السوق"[80].

رابعاً: المجال الاجتماعي:

المقصود بالمجال الاجتماعي في هذه الجزئية ما يقدمها المسلمون من خدمات في سبيل تحقيق التكافل الاجتماعي، مثل: توفير المواد الغذائية الأساسية للناس، كالغلال والحبوب، وبناء الدور للعبادة: كالجوامع

1- انظر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1894-1960م), ص38، مرجع سابق.

2- انظر: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبدالحق الترجمي في دار وداي تشاد عام (1853-1917م), محمد صالح أيوب, ص 62-63، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

والمساجد والمصليات، والدور للأيتام والمعوزين، وحفر الآبار لتوفير مادة الحياة(المياه الصالحة للشرب)، ودعم الخلوات القرآنية، والمؤسسات التعليمية والعلاجية، وغيرها من النشاطات التي يقوم بها دعاة الدعوة الإسلامية في الدول الأفريقية كافة وتشاد خاصة.

ولاريب أنَّ تجليات الدعوة الأسلامية في هذا المجال كبير ومهمٌ للغاية؛ لاستغلال المنصرين هذا الجانب أيّما الاستغلال، "وتمَّ إعداد حشود من المنصرين معززين بمؤسسات وأجهزة ضخمة مستغلين معاناة الجماعات المسلمة وغيرها من الفقر والجهل والمجاعة وتفشي الأوبئة، وفي ظل هذه الظروف تنتشر الجماعات التنصيرية تحت ستار الخدمات الإنسانية والمشاريع الإغاثية والمعونات المادية للحكومات والأفراد لتنفث سمومها بين المسلمين مستغلة هذه الأوضاع الاقتصادية السيئة"[81].

فالدعوة الإسلامية في أفريقيا واجهت هذا التحدي بقوة، ونجحت نوعاً ما من تقليل آثارها على المجتمعات الأفريقية، فالدعاة التشاديون في كافة الأراضي التشادية اعتنو بهذا الجانب كثيراً حتى ما تجد جمعية إسلامية خيرية محلية أو غير محلية وإلاَّ من برامجها العناية بالمجال الاجتماعي، ولذا تجد مشروع إفطار الصوام في رمضان، وتوزيع زكاة الفطر ولحوم الأضحية معروفة في كافة المناطق،

فهذه إدارة المهتدين- التي تعمل تحت مظلة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في جمهورية تشاد- أولت اهتماماً بالغاً لمجال الرعاية الاجتماعية

1- التنصير في أفريقيا(دولة تشاد), قوداجو محمد عبدالرحيم, ص27، بحث غير منشور,.

للعناية بالمهتدين على وجه الخصوص، فبنت لهم المساجد، كما ساهمت الإدارة في حفر آبار في مناطق المهتدين.

كما أنشأت الإدارة بعض المراكز للخياطة في كل من العاصمة (أنجمينا)، ومدينة(غوندي)[82].

منصبة بالجملة على كيفية دعوة سكان المناطق الجنوبية إلى الإسلام، ومساعدة من أسلم منهم في الجانب الاجتماعي.

وزوَّدت الإدارة بعض المهتدين بأدوات زراعية (كالمحاريث والثيران والحبوب) وذلك لتحسين الأوضاوع الاقتصادية لهم، حيث إنَّ أغلبهم تضرروا اقتصادياً بسبب اعتناقهم للإسلام، إمَّا بسبب سحب الآلات الزراعية التي زوَّدتهم بها الجمعيات الكنسية, أو بطرد بعضهم من مناطقهم ومزارعهم بسبب إسلامهم[83].

1- مصدر هذه المعلومات الاستبانة التي أعدت من قبل الباحث أثناء جمع المادة العلمية لرسالته الدكتوراه، وقد تمَّ إملاؤها بمعرفة مدير إدارة المهتدين آنذاك في أنجمينا الشيخ/قداجو محمد عبدالرحيم، بالإضافة إلى المقابلات الشخصية التي أجريتها مع الشيخ المدير في مناسبات عدة.

2- مصدر هذه المعلومات الاستبانة التي أعدت من قبل الباحث أثناء جمع المادة العلمية لرسالته الدكتوراه، وقد تمَّ إملاؤها بمعرفة مدير هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في أنجمينا السيد/عجال علي بكر.

بالإضافة إلى المقابلات الشخصية التي أجريتها في 1422/4/22هـ الموافق2001/13م، مع كل من: الشيخ/شعيب آدم أحمد، عضو في جماعة أنصار السنة فرع مدينة(مندو)، الشيخ/ مختار حسن إسماعيل، هو مدرس مسجد الدعوة لجماعة أنصار السنة المحمدية بتشاد بمدينة(مندو)، وخطيب مسجد الكوثر في مركز لجنة مسلمي أفريقيا(فرع مندو)، آدم عبدالله عبدالرحيم، عضو في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية فرع (مندو).

لا يشك أحد في أن هذه الجهود المبذولة من قبل الدعوة الإسلامية في أفريقيا عامة وتشاد خاصة قد تساهمت بشكل فعال في دفع عجلة انتشار الدعوة الإسلامية في البلاد؛ وجعلت الكثيرين من الشباب الأفريقي على مستوى من الوعي الإسلامي، ودراية تامة بما يحاك ضدهم، ويراد لهم من الانحطاط وتذويب شخصيتهم من قبل الأعداء - ولله الحمد أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً -.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وأصلي وأسلم تسليماً كثيراً على من بعثه الله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فأختتم هذا البحث المتواضع عن تحديات وتجليات الدعوة الإسلامية في أفريقيا (تشاد نموذجاً) الذي بذلت فيه عصارة جهدي المتواضع, بتلخيص ما بين دفتي هذه الدراسة، وببيان جملة من الحقائق التي توصلت إليها بتوفيق من الله تعالى، ثمَّ بإرشادات إخواني الباحثين- حفظهم الله- الذين لم يدخروا جهداً في سبيل إخراج هذه الدراسة في صورتها الحالية، ومُرْدِفاً ذلك ببعض التوصيات والمقترحات التي أراها مهمة في عملية مواجهة هذه التحديات ودفع عجلة الدعوة الإسلامية في أفريقيا عموماً وتشاد خصوصاً.

وبناء عليه فإنَّ خاتمة هذه الدراسة تشتمل على نقطتين:

أ- خلاصة البحث.

ب - التوصيات والمقترحات.

ج- فهرس المراجع والمصادر.

أ- خلاصة البحث:

وفي نهاية هذه الجولة بين مباحث ومطالب هذا البحث، الذي كان عن تحديات وتجليات الدعوة الإسلامية في أفريقيا(تشاد نموذجاً)، من الممكن تلخيص هذه الدراسة في السطور التالية:

إن الاستعمار الفرنسي لجمهورية تشاد ترك آثاراً كثيرة منها الدينية والتعليمية والثقافية والسياسية والاقتصادية، وأنَّه مهد الطريق للعمل التنصيري بالسماح للجمعيات التنصيرية الدخول إلى البلاد بكل سهولة ويسر، وإنَّ العلاقة بينهما وطيدة للغاية وأنهما تعاونا في محاربة الإسلام عقيدة وسلوكاً ولغة وثقافة، كما أنَّ البابية أو البهائية تشكل خطراً حقيقياً إذا استمر نشاطها على هذا المنوال مع غفلة من بيدهم القرار عن خطورتها.

كما أنَّ النزاعات السياسية والحروب القبلية الأهلية، وبعض العقائد الوثنية والبدع والخرافات والعادات السيئة المنتشرة في المنطقة أحدثت شرخاً كبيراً في كيان الأمة التشادية، من الناحية العقدية، والتعليمية، والثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية، والإعلامية، وحتى اليوم يعاني الشعب التشادي من آثار هذه التحديات والعقبات التي تعترض سبيل الدعوة الإسلامية في البلاد.

كما أنَّ القائمين بالدعوة الإسلامية والمسلمين عموماً لم يقفوا وقفة المتفرج إزاء هذه التحديات، بل سعوا في مقاومتها بأشكال عدة، بجهود فردية حتى ترقى إلى جهود جماعية منظمة كماً وكيفاً، بتقديم البدائل حسب الاستطاعة، وساهمت بشكل فعال في انتشار الثقافة الإسلامية في البلاد، حتى شملت المجالات السياسية والتعليمية والاقتصادية والاجتماعية.

ولاشك من أن مثل هذا الانتشار للإسلام وازدهاره في هذه القارة الأفريقية وبنائه حضارة إسلامية فريدة من نوعه تقلق العالم الغربي

النصراني أو الشرقي الملحد على حد سواء؛ ولذا يحاول أعداء الإسلام خمد هذه الدعوة الإسلامية المباركة بكل الوسائل، ولكن كل الدلالات والمعطيات تشير بل تؤكد أنَّ المستقبل للإسلام في هذه القارة وإن أدعى المدعون من النصارى والمستشرقين أنَّ إفريقيا قارة نصرانية، وأنَّها تصبح كلها للنصرانية بحلول عام 2015م، وقد ادعوا سابقاً أنَّ عام 2000م عام تنصير أفريقيا – كما صرح به بابا الفاتيكان في مناسبات عدة – وها نحن في عام 2006م والدعوة الإسلامية في تقدم وانتشار، والدعوات الأخرى في انحطاط وانحسار في كثير من البلدان الأفريقية، على سبيل المثال لا حصر: في تشاد تحول كثير من القسس والرهبان فضلاً عن الوثنين إلى الإسلام خلال عشر السنوات الماضية مما يؤكد مقولة أنَّ أفر يقيا ستصبح مسلمة مهما سعى الساعون وادعى المدعون – وما ذلك على الله بعزيز– لأنَّ للباطل(النصرانية) جولة، وللحق(الإسلام) دولة، وإنَّ الله ناصر دينه لا محال عاجل أم آجلاً، والفأل مطية المسلم، والرجاء عقيدة المسلم، ونصر الله لدينه وأوليائه سنة الله في الكون – ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلا–.

ب – التوصيات والمقترحات:

وبعد تناول خلاصة البحث في السطور السابقة يحسن ذكر أهمّ التوصيات والمقترحات التي قد تساعد في عملية مواجهة التحديات التي تواجه الدعوة الإسلامية، ودفع عجلتها نحو الأفضل والأمثل، وهي كالآتي:

1– وجوب القيام بمهمة الدعوة الإسلامية في القارة الأفريقية عامة، وفي أوساط الوثنيين خاصة, ويجب إعداد الذين يتصدون ويقومون بهذه

2– ضرورة فتح مراكز دعوية للمهتدين لإعداد دعاة منهم، وإقامة دورات تأهيلية لهم، وتقديم المعونات المالية والاجتماعية والاقتصادية ،

وحمايتهم من الوقوع في شراك الجمعيات التنصيرية التي ما تفتر في محاولتها لردّة هؤلاء بعد أن خالطت حلاوة الإيمان شغاف قلوبهم، ومن ثمَّ إرجاعهم إلى وحل النصرانية أو الوثنية.

3- أوصي الدعاة أن تكون الركيزة الأساسية لدعوتهم القدوةُ الحسنة، وخاصة في أوساط الوثنيين والنصارى.فإن مع الوثنيين؛ وإن كان استخدام القدوة الحسنة في الدعوة إلى الله تعالى مع غير الوثنيين مطلوب شرعاً أمر ملحٌّ للغاية، ولقد انتشر الإسلام في كثير من البلدان الأفريقية وغيرها من خلال القدوة الحسنة، مثل: تشاد والصومال وغانا وإندونيسيا والأندلس والحبشة، وغيرها.

فالتأكيد على قضية القدوة الحسنة في الدعوة في الجنوب الوثني مهم للغاية؛ لأنَّه كان- ولايزال للحملة التشويهية للإسلام التي تقوم بها الجمعيات النصرانية في البلدان الأفريقية- كثير من السلبيات التي تسربت إلى المجتمع الأفريقي.

4- أوصي المسؤولين عن الجمعيات والمؤسسات الإسلامية والقائمين بالدعوة في البلدان الإفريقية عموماً وتشاد خصوصاً، التفكير جدياً في كيفية البحث عن مصدر دخل محلي وثابت لتمويل مشاريعها الدعوية دون الاعتماد الكلي على التبرعات أو الهبات التي تحصل عليها من الآخرين في الخارج أو الداخل، والوضع الحالي للاقتصاد في كثير من الدول الأفريقية يساعد على استثمار بعض أموال الجمعيات محلياً؛ وخاصة تشاد لأن البلد مقبل على وضعية جديدة من التعمير والاستثمار بسبب التنقيب عن البترول التشادي من قبل الشركات الأمريكية وغيرها، والتي تبدو أنَّها عازمة على استخراج المزيد من النفط التشادي الذي ظل حبيس الأرض فترة طويلة من الزمن كثروة احتياطية للمستعمر الفرنسي، فإذا ما بادرت الجمعيات

الإسلامية الأخذ بزمام المبادرة بهذه التوصية، ووضعت خططها، وطرحت مشاريعها الاستثمارية، وقامت بتنفيذها وفق متطلبات الظرف الراهن للبلاد، سوف يكون لها مردود كبير على الأنشطة الدعوية الإسلامية – بإذن الله تعالى–.

فعلى سبيل المثال: لو قامت إحدى الجمعيات الإسلامية بطرح مشروع استثماري كبير، عبارة عن سوق خيري كبير في مكان استراتيجي داخل العاصمة، أو سلسلة مطاعم حديثة، أو محطات بترولية، أو غيرها من المشاريع التي تدر على المساهمين بأرباح كبيرة، بمعنى أن تقوم هذه الجمعية بشراء أرض واسعة المساحة، وتنشئ فيها سوقاً كبيرة أو غيرها من المشاريع المذكورة آنفاً، وتفتح المجال لجميع الجمعيات الإسلامية المحلية وغير المحلية، للمساهمة فيها كل بقدر استطاعته المالية بحيث يكون ريع هذه السوق أو غيرها من المجالات الاستثمارية حسب أسهمها، ويصرف على مشاريع أنشـــطة الجمعيات الإســـلامية، فعلى ما أعتقد أن طرح مثل هذه المشاريع ناجحة 100% في الوقت الحالي– إن شاء الله تعالى–.

وهذا على سبيل المثال وإلاَّ فهناك مجالات استثمارية كثيرة مثل إنشاء مدارس أهلية، أو فنادق صغيرة، أو مشروع زراعي كبير، أو إنشاء مصنع معلبات للمرطبات والعصائر، أو غيرها.

5– أقترح على المسلمين في تشاد عموماً والجمعيات الإسلامية خصوصاً العناية الخاصة بمسألة تفريغ الدعاة للدعوة إلى الله في الجنوب، وإعداد دعاة من أبناء الجنوبيين أنفسهم، عن طريق وضع خطة مرحلية لذلك الغرض، ودعمهم بالمال اللازم، وتوفير المواصلات لهم، وتنفيذ المشاريع المفيدة لأهليهم بواسطتهم حتى يكونوا موضع احترام وتقدير في

مناطقهم؛ بل موضع إشادة في أوساط مدعويهم حتى يكونوا مقبولين لديهم، فلا شك أن باب الإحسان باب واسع لا ينكره إلاَّ اللئيم كما قال الشاعر:

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ * وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

(84).

6- أقترح أن تكون هناك آلية تنسيقية بين الأنشطة الدعوية في البلدان الأفريقية، سواء أكانت الجهود فردية أم جماعية، لأجل تطوير آليات الدعوة الإسلامية على مستوى القارة الأفريقية مطلب ملِّح، على غرار ما تقوم به الجمعيات التنصيرية في البلدان الأفريقية- ونحن أولى بذلك منهم-، فهذه الجمعية التنصيرية (أوكسفام - oxfam) مهمتها الأساسية تنسيق جهود الجمعيات النصرانية في العالم كله، ومتابعة أنشطتها، وتقييمها وتذليل الصعاب التي تقف في طريقها(85).

7- أوصي بالعناية بالمناهج التعليمية, وهذا يتطلب الآتي:

أ- وضع مناهج إسلامية موحدة لجميع المدارس الإسلامية في البلدان الأفريقية عن طريق تكوين لجان تعليمية لمتابعة هذا الموضوع وإنجازه، وتتحمل أعباء هذه اللجان جميع الدول الإسلامية إن أمكن، وإلاَّ الدول الأفريقية نفسها.

1- هذا البيت من شعر الشاعر: أبو الطيب أحمد بن الحسين الملقب بالمتنبي، ولد بالكوفة سنة303هـ، وقتله فاتك بن أبي جهل الأسدي بمقربة من بغداد سنة 354هـ. انظر: ديوان المنتبي، دار الجيل-بيروت- بدون سنة الطبع، ص372.

2- انظر: د/ حقار محمد أحمد، التنصير في تشاد، مرجع سابق، ص16.

ب- السعي في توفير ميزانية خاصة لهذا المشروع، وجعلها تحت تصرف أفراد هذه اللجنان.

ج- إرسال وفود إلى الدول الإسلامية من أعضاء هذه اللجان لإضفاء الصبغة الرسمية على هذه اللجان، وتلك المناهج، بحيث تتبنى جهات إسلامية أو تعليمية رسمية في الدول الأفريقية هذا المشروع، مثل: المجالس الأعلى للشؤون الإسلامية، أو وزارة الشـــؤون الدينية، أو الجامعات الإسلامية في البلاد، حتى تكون هذه المناهج معترفاً بها في البلدان الأفريقية كلها.

وإن لم يتحقق هذه الأمنية على مستوى الدول القارة كلها لا أقل أن تحقق على مستوى الإقليمي أو المحلي.

8- أقترح إنشاء محطة بث إذاعي وتلفزيوني خاصة متخصصة في مواجهة النشاط التنصيري في البلدان الأفريقية كلها، ويقوم بتمويلها أو يتعاون في تمويلها كافة دول الإسلامية أو الأفريقية على الأقل،، ومهمة هذه الإذاعة، بيان أهداف التنصير، وخططه، ووسائله، وأساليبه، وآثاره، ونشر إحصائيات عن عدد المنصرين، وميزانيات الجمعيات التنصيرية، وغيرها من الأمور التي تفضح النشاط التنصيري في الدول الأسلامية. وكذلك من الممكن عقد مناظرات عبر هذه الإذاعة بين بعض القسس والرهبان وبين الراسخين في العلم من الدعاة، وكما لا ننسى نشر العقيدة الصحيحة عبر هذه الإذاعة وبيان بطلان دين النصارى، وأن الإسلام ناسخ لجميع الأديان بما فيها النصرانية بالأدلة من الكتاب والسنة وإبطال عالمية الدعوة النصرانية بنصوص كتبهم؛ وأن يكون ذلك باللغات المحلية المختلفة مع التركيز على اللغة العربية والفرنسية.

9- أوصي الدعاة إلى الله والقائمين بشؤون الجمعيات الإسلامية المحلية وغير المحلية بتحديد أولويات الدعوة قبل القيام بها في أي منطقة من المناطق التشادية، لأن ذلك نهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة، ونحن مأمورون بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم، فها ذا هو يرسل معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن ويقول له:(إنَّك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأنِّي رسول الله، فإنْ هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمسَ صلوات في كلِّ يوم وليلة، فإنْ هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقةً...إلخ)[86].

فلابد للداعية من أن يحدد أولويات دعوته، لأن الأولويات تختلف من مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان، ومن حالة إلى حالة، ومن مجتمع إلى مجتمع، ومن بيئة إلى بيئة، فلكل ما يناسبه.

10- كلمة أخيرة أوجهها للمهتمين بالدعوة الإسلامية من الرؤساء والوزراء والعلماء والدعاة والأئمة والقضاة والمدرسين: وإن لم يتحقق هذه الأمنيات في المقترحات والتوصيات على مستوى دول القارة كلها لا أقل أن تحقق على مستوى الإقليمي أو المحلي، لأنَّ النهوض بالمجتمع الأفريقي

1- نص الحديث بالكامل:(عن ابن عباس- رضي الله عنه- أنَّ معاذاً قال: **بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"إنَّك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأنِّي رسول الله، فإنْ هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمسَ صلوات في كلِّ ليلة، فإنْ هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإنْ هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنَّه ليس بينها وبين الله حجاب"**. وفي رواية:" **فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عزوجل...**". صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب(7) الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، مرجع سابق، حديث رقم(19)، جـ1، ص50-51.

يتطلب تضحيات كبيرة، وتبعات جسيمة, فأوصي بالعمل الدؤوب المستمر, في تأنٍ وروية، مع الأخذ بسنة التدرج في التغيير, وأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة, والقدوة الصالحة.

فالداعية هو الركيزة الأساسية في عملية الدعوة الإسلامية, لأنَّه هو الذي يحمل الفكر وينشره, ويستخدم الوسائل والأساليب المناسبة في تحقيق غايته والوصول إلى هدفه, إذن فلابد من إعداد الدعاة كيفاً وكماً حتى يُوصِلُوا هذا الدين إلى قلوب المدعوين، عن طريق إسماعهم الحق المبين، بأسلوب شيق، ووسيلة سهله واضحة, بعد إجلاء غبش التشويه للإسلام من أذهانهم(أي التخلية قبل التجلية) بمعنى إزالة المنكر ثمَّ إحلال المعروف مكانه.

كما أنَّه لابد من غرس فضائل الإسلام في نفوس الدعاة، والتحلي بها وتمثلها في الواقع العملي قبل دعوة غيرهم إليها في غاية الأهمية؛ ليكون للكلام وقع في النفوس، ومثمر للعمل الصالح لدى المدعوين, فالعمل هو نتيجة الدعوة والعلم, وقد قيل:(العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلاَّ فارتحل عنه)[87].

ولأن النشاط التنصيري في البلاد قد شَوَّهَ كثيراً من المسلمات الدينية الإسلامية, وعوامل الدعوة، فالداعية قد شوه، والعقيدة قد شوهت، والإسلام قد شوه، والقرآن والسنة قد شوها من قبل، ووسائل الدعوة الإسلامية وأساليبها قد شوهتا أيضا, وخاصة لدى الناشئة الذين تلقوا هذا التشـــويه منذ نعـــومة أظفـــارهم، فرسخ في أذهـــانهم، واستقر في قلوبهم وأفكارهم, في

1- انظر: قاموس الحكم والأمثال المأثورة, سمير شـــيخاني, ص452، مرجـــع سابق.

جملة أخرى من التشويه والتكذيب والتلفيق على الإسلام وأهله، فلابد من إزالة هذا التشويه, وبيان حقائق الإسلام ومحاسنه، وبيان كذب هؤلاء وافترائهم، وفضح نواياهم الخبيثة.فحماية الشعب الأفريقي من الانحراف العقدي والفكري ابتداء, أو تغييره وتحويله عن هذا الانحراف، ونقله إلى الصواب بتزويده بالحقائق الثابتة، يتطلب جهوداً مضنية كبيرة، ومتواصلة ومتتابعة حتى يعود إلى معين الإسلام الصافي، وتغرس في نفوس الناشئة منه الحقائق الثابتة الصادقة ابتداء منذ الصغر. أخيراً: لقد بذلت في هذا البحث من الجهد ما أمكن، والخطأ والتقصير من طبع البشر؛ فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع والمصادر

1- أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في أفريقيا وطرق مواجهتها, الباحث/ نور الدين عوض الكريم إبراهيم بابكر، (دراسة ميدانية على دولة كينيا في الفترة من عام: 1411- 1420هـ)، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة الاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العام الجامعي 1422-1423هـ.

2- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام, د/سعد الدين السيد صالح, دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ-1993م.

3- استعمار القارة الأفريقية واستقلالها, د/ زاهر رياض, دار المعرفة 1966م, ط1.

4- الإسلام في الممالك وأمبراطوريات إفريقيا السوداء, جوان جوزيف, ترجمة مختار السويفي, دار الكتب الإسلامية, 1404هـ -1984م, ط1.

5- أطلس العالم، مكتبة لبنان - ساحة رياض الصلح- بيروت، طبعة جديدة، 1417هـ.

6- أمبراطورية البرنو الإسلامية، ، إبراهيم على طرخان، ص19، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1395هـ-1975م.

7- امتداد الحضارة الإسلامية نحو بحيرة تشاد، د/محمد صالح أيوب، مخطوط.

8- أهمية الموقع الجغرافي وعلاقته بالتطور والاستقرار السياسي في دولة تشاد، إبراهيم محمد إسحاق, دراسة في الجغرافيا السياسية, قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة ماجستير, في قسم الجغرافيا بكلية الآداب, جامعة الملك سعود, المملكة العربية السعودية- الرياض.

9- أوربا والتخلف في إفريقيا، رودني، وألتر: (ترجمة أحمد القصير)، عالم المعرفة الكويت 1991م.

10- البهائية من الدعوات الهدامة، دار الاعتصام القاهرة، الأستاذ/ أنور الجندي، بدون سنة طبع.

11- البابية عرض ونقد، الأستاذ/ إحسان إلهى ظهير، إدارة ترجمان السنة - لاهور- باكستان، 1401هـ-1981م، ط3.
12- برنو في عهد الأسرة الكانمية (1814- 1969م)، د/ مصطفى علي بسيوني أبو شعيشع، دار العلوم للطباعة والنشر، 1405هـ- 1984م، ط1.
13- تاريخ الإسلام وحياة العرب في أمبراطورية كانم-برنو، د/ إبراهيم صالح الحسني النوي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1396هـ-1976م.
14- تاريخ الفتح العربي في ليبيا، الطاهر أحمد الزواي، دار الفتح ودار التراث العربي، ليبيا، ط3.
15- تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، د/ شوقي الجمل، مكتبة الأنجلو المصرية 1980م، ط1.
16- تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط، الشاطر بصيلي عبد الجليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1972م.
17- الصعوبات والتحديات التي تواجه التعليم العربي المعاصر في أفريقيا، د/عبدالفتاح محمد أحمد، بحث مقدم في الندوة العلمية الدولية(التعليم العربي الإسلامي وأثره في التنمية والتطور في أفريقيا)، المنعقدة في جامعة الملك فيصل في أنجمينا(جمهوريـــة تشـــاد)، في الفترة ما بين 13-17 شوال 1425هـ الموافق 26-30 نوفمبر 2004م.
18- التحديات التي تواجه المدارس العربية الإسلامية في تشاد، أ.الطيب محمد حلولو،(عبارة عن بحث غير منشور قدم إلى ندوة التعليم العربي الإسلامي وأثره في التنمية والتطور في أفريقيا، والتي نظمتها جامعة الملك فيصل في تشاد، في العاصمة (أنجمينا) في الفترة ما بين:13- 10/17/ 1425هـ الموافق: 26-2004/11/30م.
19- تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام، لسماحة الشيخ/ عبدالعزيز بن باز، دار العاصمة 1416هـ - 1995م، ط2.
20- تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1894-1960م)، عبدالرحمن عمر الماحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1982م.

21- تشاد والإسلام ومعركة التحديات، آدم كردي شمس، ط1، 1418هـ-1997م.

22- التضامن الديمقراطي ضرورة حتمية لبناء تشاد، آدم كردي شمس، ط1، 1413هـ-1992م.

23- التنصير في تشاد, د/حقار محمد أحمد، بحث غير منشور.

24- الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، د/شوكت محمد عليان، دار الرشيد للنشر والتوزيع - الرياض 1401هـ-1981م، ط1.

25- جماعات التحديث الاجتماعي في وسط إفريقيا، أيوب، محمد صالح, مطبعة المعرفة، القاهرة 1991م.

26- الجغرافيا السياسية لإفريقية, د/فيليب رفلة, القاهرة1966م, ط2.

27- حضارة إسلام وحضارة أوربا بإفريقيا الغربية, قداح نعيم, مكتبة أطلس, دمشق 1965م.

28- حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في إفريقيا الشرقية, محمد أحمد مشهور الحداد، دار الفتح، بيروت- لبنان- 1393هـ-1980م

29- دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: محمد ثابت الفندي وزملائه، جـ6، مادة "حام".

30- دائرة المعرف الإسلامية, ترجمة: إبراهيم زكي خورشيد وزملائه, جـ 6, مادة (باجرمي) .

31- الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل, د/ عبدالرحمن عمر الماحي, ديوان المطبوعات الجامعية, الساحة المركزية - ين عكنون - الجزائر.

32- الدستور جمهورية تشاد، المادة(9)، الصادر في عام 1996م .

33- الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبدالحق الترجمي في دار وداي تشاد عام(1853-1917م), محمد صالح أيوب, جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

34- دولة الإسلام وحضارته في إفريقيا (بحوث في التاريخ الحديث), د/عبد الرحمن بن عبد الله الشيخ ، دار اللواء, الرياض 1403هـ -1983م, ط1.

35- الديمقراطية والتعداد الحزبية في تشاد، أحمد قاسم أحمد، بحث مقدم إلى قسم الدراسات العليا بجامعة الملك فصل بتشاد، كلية الشارقة للتربية، لنيل درجة دبلوم الدرسات المعمقة في التاريخ والحديث والمعاصر، بحث غير منشور.

36- الدولة الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، زكي، د.عبدالرحمن, تاريخ المؤسسة المصرية الحديثة، القاهرة 1961م.

37- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق محمد نعيم العرقوس ومأمون صاغرجي، جـ6، مؤسسة الرسالة.

38- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء, أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي, جـ8, نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية, وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

39- العلاقات السياسية والاجتماعية بين جمهورية تشاد والسودان في الفترة ما بين: (1960م-1990م)، محمد شريف جاكو، رسالة مقدمة لنيل دبلوم في العلوم السياسيـــة من معهد البحوث والدراسات العربية،القاهرة، عام1993م.

40- العوامل الفكرية وانتشار الإسلام في تشاد, د/موسى عبدالرحيم عربي، (دراسة في فلسفة الحضارة الإسلامية)، رسالة ماجستير، الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم الفلسفة.

41- الغارة على العالم الإسلامي، أ.ل.شاتلية، تعريب: محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، منشورات العصر الحديث -جدة -1387هـ، ط2.

42- القانون الدولي الجديد للبحار، إبراهيم محمد الدغمة، دار النهضة العربية- القاهرة - 1983م.

43- كتاب مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم, للإمام محمد بن عبدالوهاب, طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد, عام 1408هـ, الرياض- المملكة العربية السعودية.

44- ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م، إتوري روسي، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، دار الثقافة ببيروت لبنان 1394هـ - 1974م، ط1.

45- مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا(6) تشاد, محمود شاكر, المكتبة الإسلامية, ط، بدون سنة طبع.

46- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، د/أحمد شلبي، ج6، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1972م.

47- واقع الدعوة الإسلامية في تشاد، موسى يوسف عيسى إدريس، رسالة ماجستير، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، العام الجامعي 1417هـ -1996م.

ثانياً: المجلات والجرائد:

48- مجلة الأسرة، السنة الحادية عشر، العدد(125) شعبان 1424هـ.

49- مجلة الثقافة العربية، العدد(7)، بتاريخ 1400/12هـ-1990/7م.

50- مجلة جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، العدد(4)، 1413/9هـ-1933م، الجزائر.

51- المجلة العربية، العدد(241) السنة(21)، صفر 1418هـ- يونيه/يوليو 1997م.

52- مجلة المؤرخ العربي، العدد(37)، 1409 هـ - 1988م.

53- مجلة المستقبل الإسلامي، العدد(117)، محرم 1422هـ- إبريل 2001م.